بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ﴾

فإني وفي لقاء سريع مع أخوين ممن يحملون الفكر السلفي الذي انتشر في الناس انتشار النار في الهشيم في العقدين السالفين ، وذلك لأسباب ليس هذا محل حصرها والتعليق عليها ولا هـو مطلب هذه الورقات ... فإننا في لقاءنا السريع ذاك تبادلنا أطراف حديث فيما يخص الإسـناد والأحاديث ، وكان فيما قلته في حضورهما هداني الله وإياهما إلى صراطه السوي المستقيم ..

قلت : إنّ متن الحديث حتى يقبل لا بد أن تتوافر فيه شروط تضاف إلى ما اعتمده علمـاء الحديث وحفاظه . وهذه الشروط هي :

1) أن لا يخالف متن الحديث نص القرآن الكريم .
2) أن لا يخالف متن الحديث ما تشهد به العقول .
3) أن لا يخالف متن الحديث الواقع المشاهد .
4) أن لا يخالف متن الحديث العدل أو أن يكون فيه دعوى للجور أو دعاية لجائر .

فما كان من الإخوة السلفيين إلا المبادرة بالاعتراض والرد لما ذكرت ، رغم أنـه لم يكـن مقصود واضعي هذه الشروط إلا الحفاظ على النص النبوي من الدَّخل ، وتتريـه النقـل مـن التزوير ووقوع التناقض ، وحماية جناب القرآن العظيم من شبهات قد تأتيه مـن مثـل هـذه المرويات !

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا ﴾ ((النساء : 82))

ثم إنّ هذه الشروط ،وعند التمحيص وإحسان التدبّر لا يمكن أن يختلف عليها اثنان ،فما الخطأ وأين هو الخطل عندما نقول بأن أي نصٍ ينسب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثبت أنه وقع في إحدى هذه المخالفات فهو مردود ٌمدفوعٌ ،وأنّ إسقاط مثل هذه المرويـــات بغـــض النظر عن متحمّلها وراويها خير ألفَ ألفَ مرةٍ من فتح باب الطعن على النص الإسلامي كتابـــاً وسنة .

1ـــ أين هو الخطأ عندما نسقط روايةً ما بحجة مخالفتها لكتاب الله قطعي الثبوت المنقـــول بالتواتر أمة عن أمة . في حين أنّ هذه الرواية في أحسن أحوالها رواية ثقة عن ثقة لمنتهاه ! مع أنّ هذا الثقة وعلى اليقين ليس بمعصومٍ من الخطأ والنسيان والإدراج والذهول بل والكذب أيضا ، فلا معصوم إلا أنبياء الله عليهم السلام ، إلى غير ذلك من أسباب العلل الداخلة على السند مما يعرفوه دارسوا علم الإسناد والمصطلح .

وقد عُرف في علم الحديث ما سُمّي بالحديث الشاذ ، وهو أن يروي الثقة حديثا يخالف فيه الثقات ، وهذا النوع مردودٌ عند عدد من أهل الحديث ، فإذا كان حديث الثقة يُرَدّ لمخالفته ما عليه الأوثق منه ، فما بالنا بما خالف كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفـــه وقد وقع وكان .. بغض النظر عن راويه .

كيف إذا خالف الظني الواقع تحت الاحتمالات المعارضة لليقين ، القرآن المتواتر المحفوظ بحفـــظ الله تعالى .

والاحتمالات المعارضة لليقين هي : الخطأ ـــ النسيان ـــ الكذب ـــ الإدخال في رواية راوٍ من حيث لا يعلم .

2 ـــ وأين هو الخطأ في ردّ حديث وإسقاط رواية تخالف المعلوم الصحيح في العقـــول ، لا شك أنّ العقل هو من أهم حجج الله على عباده ، بل هو أولها جميعاً والممهد لها ، وبدونه لا تتم الاستفادة من القرآن الكريم ، ولا تقوم حجته على الناس وكذلك السنة ، فهو أي العقل الذي يثبتهما ويصدقهما ، ويثبت أنهما من لدن حكيمٍ عليمٍ عدل . وقد قيل قديماً : [إذا أخـــذ مـــا أوهب فقد أسقط ما أوجب] وبلا عقل ترفع الحجة تماما !!

وإذا كان هذا شأن العقل ، فلا يمكن معه قبول رواية أيّاً كان راويها ، وهي في محل المخالفة له والمعارضة . وإلا لبطُل الإستدلال بالعقل أصلاً ، وإذا بطل الإستدلال بالعقل بطلت الحجـــة عقلاً ونقلاً ، لأن النقل يحتاج للعقل لإثباته ، وبالتالي استحال على العقلاء إثبات وحدانيـــة الله وعدله وحكمته وصدق رسوله الكريم.

والحديث هنا يدور حول الروايات الحديثية الواصلة إلينا عبر طريق الإسناد بحدثنا وأخبرنا وعن و عن ..

أمّا ما جاء لنا منقولاً بالتواتر القطعي ، فلا دخل له في هذه المباحث لاستحالة مخالفته لما في العقول كالقرآن الكريم ، فإنّ كلام الله تعالى بـــالحق لا يخـــالف أبـــداً خلـــق الله بـــالحق.

3 ــ أمّا مخالفة المشاهد فكونه مشاهد معلوم بالضرورة وجاء نصٌ ظنيٌ برواية ثقة عن ثقـــة يخالف هذا المعلوم بالضرورة والمشاهدة الواقعة ، فلا مجال هنا البتة لقبول هذا الحديث ، ومجرد مخالفته للمشاهد والضرورة يغني عن التعليق عليه وتبرير ردّه .. فليعلم ...

وإلا .. فلو صدّقنا الخبر ــ أي خبر ــ فيما يخالف ما نراه ونشاهده ونحسّه لبَطُـــل بـــذلك طريق العلم كلّه وعطّلنا الحواس كلها ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ به عِلْمٌ إِنَّ الـــسَّمْعَ وَالْبَـــصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ((سورة الإسراء: 36)) وقال تعالى: ﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ((النحل : 78))

نعم .. إنّ ردّ المشاهد المعلوم بمجرد خبر الثقة إبطال لحجة الله كلّها ، وذلك لأنّك علمـــت الله خالقاً حكيماً قادراً حياً بما أقام عليك من حجج منظورة في اتّساق الكون ، وانتظام الخلـــق المشاهد ، فإذا أبطلت المشاهد بالخبر أبطلت الحجج كلها !!!

4 ــ أمّا مخالفة العدل أو ما يدعو إلى الجور أو ينافح عنه .

فإنّه قد عُلم من دينِ سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم باضطرار ، أنّه ما جاء إلا بالدين السمح والعدل والإنصاف ، وتعديل المعوج من حياة الناس وفكرها ونظمها . وهـــذا معلـــومٌ

مشهورٌ لا تقام على مثله أفراد الأدلة ، وجاهله عياذاً بالله تعالى جاهلٌ بالدين كلّه .

وعلى ذلك .. فلو جاء نصٌ برواية كائنٍ من كان ، وكان في هذا النص ما يخالف ما عليه دين الإسلام من العدل والنّصفة ، وما جاء به سيدنا محمد صلوات الله عيه وسلامه من الحكم بالقسطاس المستقيم فإنه يُردّ ولا كرامة .

وكذلك لو جاء نصٌ ينافح عن الجور والجائرين ، وينظّر لهم ويكرّس طغيانهم وجبروقم في الأرض ويبرر لهم سوء صنيعهم ، فإنّه يُردّ دون اعتبارٍ لسنده أو درجة رواته أو هالةِ المُصَنَّف الذي ورد فيه ، ومثل هذا النوع من النصوص قد وجد في دواوين الحديث بفعل السلطة الجائرة التي تحكّمت في رقاب الناس دهراً طويلاً وما زالت .. وبفعل علماء السلطة وما أكثرهم قديماً وحديثاً !!!

وإنّه لو جاز لنا أن نّصحح روايةً بنقل الثقة عن الثقة ، وكانت هذه الرواية تدعو إلى الجور أو تخالف العدل ثم قبلت هذه الرواية لأمكنّا بفعلنا هذا أعداء الله من الطعن في الإسلام ، وأبطلنا غايته التي جاء من أجلها من الرحمة والعدل والإنصاف والمساواة ، ونكون بذلك ــ عياذا بالله تعالى ــ قد أسقطنا منظومة الأخلاق الإسلامية التي نفاخر بها على رؤوس الخلائق أجمعين .

هذا ما أردت أن أقوله لأخويّ السلفيين ، ولكلٍّ من يقدس رواية الحديث مهما كانت ولأيّ شيءٍ دعت وأرشدت .

و لكنّهما تظاهرا علي و كان أحدهما ــ سامحهما الله جميعاً ــ أشدّ تظاهرةً من أخيه غفر الله لنا جميعا . فكان أن بدرت منّي آنذاك كلمة فأصر عليّ أعلاهما صوتاً أن أذكر له من أين استقيتها ، وما هو مرجعي فيها . فوعدته بذلك.

والكلمة هي : أنّي نسبت هذه الشروط الأربعة التي ذكرها آنفا و علّقت عليها ، للإمام أبي حنيفة النّعمان رحمه الله تعالى فطلب إلي ذلك الأخ أن أذكر مصدر هذه الكلمة ، وهذا حقه لا مشاحة فيه .

ولكني و الحقّ يقال .. قد بحثت جهدي للوقوع على مصدر تلك الكلمة ، فما وجدت ، وإن كنت يعلم الله قد وقع لي علم بهذا الذي قلته ، وإن كنت الآن لا أذكر أو لا أعرف

مصدره . ولعلّ الله سبحانه أن يوفقني لهذا في قابل الأيام فؤافيكم[1] به إن شاء الله تعالى .

وإن كنت لأظنّ أنّ الأمر لا يحتاج أصلاً لنقلٍ عن فلانٍ أو عَلّان ، فإنّ هذا كان ينبغـــي أن يكون من بداهة الأمور عند كلّ دارسٍ أو طالب علم ، فضلا عن كلّ مسلم و مثقّف .

فإنّ هذه الشروط تلزم كلّ الأخبار أيّـــاً كانت هذه الأخبار وأيّاً كان مصدرها بأيّ لغـــة كانت ، وذلك عند كل مسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً و بالقرآن منهجاً وحكماً وبمحمّـــدٍ صلى الله عليه وآله وسلم رسولا .

وبعض هذه الشروط تلزم كل العقلاء ولو من خارج دائرة الإسلام ما داموا عقلاء وذلك :

أ) أن لا تخالفَ الأخبار صحيح العقول .

ب) أن لا تخالفَ الأخبار المشاهد المحسوس.

ومع كلٍّ هذا .. فإنّي و خلال بحثي ومن سابق ما علمت في هذه المسألة ، رأيـــت أنّ مـــن واجبي الأدبي تجاه أخوي ـــ حفظهما الله وهدانا وإياهم إلى سواء السبيل ـــ أن أنقلَ لهم بعـــض النصوص والنقولات عن علماء أهل الحديث و الأصول وغيرهم مّمن ذهبوا إلى ما ذكرته عـــن أبي حنيفة أو نسبته إليه حتى يثبت النسب . علماً بأنّ نقليَ هذا كان مقتصراً على بعـــض مـــا حوت مكتبتي المتواضعة من كتب خاضت في هذا الموضوع ، و أزعـــم أنّ مـــن أراد الزيـــادة والاستزادة فسيجد لذلك سَعةً و مُكنةً .والله الموفق.

-(1)- وكنت قد كتبت هذا قبل تمكّني من الوصول إلى مصدر هذا اللفظ لأبي حنيفة ـــ رضي الله عنه ـــ ، ولكنني ولله الحمد والمنّة قد يسّر الله لي وسهّل عليّ الوصول إلى ذلك المصدر في كتاب ((العالم والمتعلم)) لأبي حنيفة رحمه الله تعالى ، ولم أحصل على تلك النسخة إلّا بشقّ الأنفس .. يعلم الله . وقد حصّلته بمعاونة بعض الإخوة من مكتبة الجامعة الأردنية ، وقد ذكرت ذلك النص ص 25 من مبحثنا هذا ولله الحمد .

1.الإمام الحافظ الخطيب البغدادي . ((392 / 463 هـ))

نقل الأستاذ حسن السقاف في تعليقه على كتاب (دفع شبه التشبيه بأكف التتريه) لابن الجوزي .عن الخطيب البغدادي في كتابه (الفقيه و المتفقّه) (1/132) باب القول فيما يُردّ به خبر الواحد..

قال : [وإذا روى المأمون خبراً متصل الإسناد رُدّ بأمور :

أحدها: أن يخالف موجبات العقول ، فيعلم بطلانه لأنّ الشرعَ إنّما يردّ بمجوزات العقول وأما بخلاف العقول فلا.

و الثاني : أن يخالف نصّ الكتاب والسنة المتواترة فيعلم أنه لا أصل له أو منسوخ .

الثالث : يخالف الإجماع فيستدلّ على أنّه منسوخ أو لا أصل له .

الرابع : أن ينفردَ الواحد برواية ما يجب على كافّة الخلق علمه ، فيدلّ ذلك على أنّه لا أصل له ، لأنّه لا يجوز أن يكون له أصلٌ و ينفرد هو بعلمه من بين الخلق العظيم .

الخامس : أن ينفرد برواية ما جرت العادة بأن ينقله أهل التواتر ، فلا يقبل لأنّه لا يجوز أن ينفرد في مثل هذا بالرواية] انتهى كلام الحافظ البغدادي

نقله الأستاذ حسن السقاف مقرّاً له ، وهو ـــ أي السقاف ـــ من علماء الحديث لاشكّ في ذلك ولو أبى الكاره و المخالف .

ثم إنّ الأستاذ حسن السقاف قال كلاماً كنت قد ذكرت مثله في الصفحات السابقة غيَر ناقلٍ عنه ، ولكنّه توارد الأفكار واتفاقها .

وأنقل عنه هنا لتثبيت الفكرة قال ص49 : [وإذا كان الحفاظ قد عرّفوا الشاذّ في كتب المصطلح بأنّه ما خالف الثقة به الثقات ، فنقول : إذا خالف الثقة الثقات في رواية اعتُبر حديثه شاذاً مقدوحاً فيه ، فما بالك إذا خالف الثقة القرآن الكريم حيثُ أتى بروايةٍ تخالف المقطوع به ؟ لا شكّ أنّه يطرح ما جاء به وهو شاذ بمرّة ..] انتهى كلام الأستاذ حسن السقاف في تعليقه عل كتاب دفع شبه التشبيه لابن الجوزي رحمه الله تعالى .

2. الإمام عبد القاهر أبو منصور البغدادي ((429/350 هـ))

قال أبو منصور البغدادي في كتابه أصول الدين ص12 :[وأخبار الآحاد متى صحّ إسنادها وكانت متونها غير مستحيلة في العقل كانت موجبة للعمل بها دون العلم] ومفهوم المخالفة لكلام أبي منصور أنّها إن كانت مستحيلة في العقل لا توجب العمل فضلاً عن العلم .

3. الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني ((1099 ــ 1182)) هـ

قال الأمير الصنعاني في توضيح الأفكار ص92 : [مسألة : فيما يعرف به أنّ الحديثَ موضوع ــ وذكر منها ــ : وجعل الأصوليون من دلائل الوضع أن يخالف العقل ولا يقبل تأويلاً بحال ، لأنَه لا يجوز أن يرد الشرع بما ينافي مقتضى العقل ، وقد حكى الخطيب هذا في أول (الكفاية) تبعاً للباقلاني وأقرّه ، فإنه قسّم الأخبار ثلاثة أقسام ما تعرف صحته ، وما يعلم فساده ، وما يتردد بينهما . ومثّل الثاني : بما يدفع العقل صحته ، ويلحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة]

وذكر الصنعاني منها أيضا :

[أن يكون مناقضاً لنص الكتاب والسنة المتواترة أو الإجماع القطعي]. انتهى من كلام الأمير الصنعاني في توضيح الأفكار ص96

وكذلك قال محققه العلامة محمد محي الدين عبد الحميد في هامش ص72 : [ومما يعرف به أنّ الحديثَ موضوع : أن يخالف المروي دلالة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي أو دليل العقل ، ويكون المروي مع ذلك غير قابل للتأويل ليوافق ما خالفه ، فأمّا إن أمكن فلا يكون دليلاً على وضعه] .

وقد ذكروا أيضا أنّ من دلائل الوضع في الحديث ركاكة اللفظ[1] وسماجة المعنى و الإفراط في الوعيد على الذنب اليسير ، أو الوعد العظيم والأجر الجزيل على الفعـــل اليـــسير ، أو أن يرويَ واحد حديثاً كان حقّه أن ترويه الجماعة، وذلك لأهمية الموضوع ووجوب اشتهار الواقعة.

4. السيوطي .. ((849 / 911 هـ))

أمّا العلامة جلال الدين السيوطي فقد أورد في تدريب الراوي ما ذكـــره الـــصنعاني عـــن الخطيب في (الكفاية) وأقرّه عليه وذلك ص276 من الجزء الأول ، وذكر أن الزركشي ذكـــر مثل هذا في كتبه . وقال ما نصه : [ويعرف لركاكة ألفاظه ومخالفته القاطع ولم يقبل التأويل] وذكر السيوطي كذلك في تدريبه ص277 عن ابن الجوزي قوله :

[ما أحسن قول القائل إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنّه موضوع]

وجاء في تدريب الراوي عن الذهبي قال : [ونقلت من خط السيد أحمد بن أبي المجد قال : صنّف ابن الجوزي كتاب الموضوعات ، فأصاب في ذكره أحاديث شنيعة مخالفة للنقل والعقل]!

علماً بأنّ جلَّ كتاب الموضوعات لابن الجوزي رحمه الله تعالى قام على أساس نقـــد المـــتن لمخالفته القواعد المذكورة ، ولقد ذكر ابن الجوزي من تلك الأحاديث التي حكم عليها بالوضع ، حديث عند مسلم ومجموعة من أحاديث المسند لأحمد بن حنبل وأحاديث في كتـــب الـــسنة المشهورة .

-(1)- قال الإمام النووي في كتابه ((التقريب والتيسير)) :[فقد وُضعت أحاديثُ يشهد بوضعها ركاكة لفظها ومعانيها] وهذا أيضاً رأي الزركشي كما سيمرّ معنا إن شاء الله تعالى .

5. ابن كثير .. ((**700/ 774** هـ))

وتحت عنوان " معرفة الموضوع المختلق المصنوع " ص**74** من الباعث الحثيث قال الإمام ابن كثير : [ويعرف ذلك من ركاكة ألفاظه وفساد معناه أو مجازفة فاحشة أو مخالفة لما ثبت في الكتاب والسنة الصحيحة]

وعلّق عليه المحدث الكبير الإمام أحمد محمد شاكر ــ وهو محدثٌ مشهورٌ له جهود في علم الحديث والإسناد وهو سلفي المشرب حديثي المذهب ــ في هامش الباعث مقراً له ، وقد نقل عن ابن الجوزي ما ذكره السيوطي عنه في تدريب الراوي " إذا رأيت الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع " ص**74**

ونقل الأستاذ أحمد شاكر ص**78** من الباعث الحثيث عن ابن حجر العسقلاني وهو المعروف بأمير المؤمنين في الحديث وقد غلب عليه لقب الحافظ حتى على اسمه وكنيته .

قال الحافظ ابن حجر: [ومما يدخل في قرينة حال المروي ما نقل عن الخطيب عن أبي بكر ابن الطيب : أنّ من جملة دلائل الوضع أن يكون مخالفاً للعقل بحيث لا يقبل التأويل ويلتحق به ما يدفعه الحس والمشاهدة أو أن يكون منافياً لدلالة الكتاب القطعية أو السنة المتواترة أو الإجماع القطعي]

وليعلم أنّه قد تمّ لنا بهذا النص المنقول عن أحمد شاكر معرفة رأي كلٍ من **1**ــ أحمد شاكر **2**ــ ابن حجر العسقلاني **3**ــ الخطيب البغدادي **4** ــ أبو بكر بن الطيب الباقلاني فكلهم نقل عن الآخر مقراً له قابلاً وجهة نظره .

6. ابن قيم الجوزية .. ((**691 / 751** هـ))

ابن القيم شمس الدين تلميذ ابن تيمية السلفي الحنبلي الأثري المشهور ، صاحب التصانيف

السلفية المشهورة . يقول في كتابه المنار المنيف جواباً على سؤال ورد إليه ، هل يمكـــن معرفـــة الحديث الموضوع بضابط من غير أن ينظر في سنده ؟؟

فكتب كلاماً قد أسهب فيه وأطال ، وذكر خلاله أموراً بها يعرف وضع الحـــديث ومنـــها:

ا) تكذيب الحس له

ب) سماجة الحديث وكونه مما يسخر منه .!!

ج) مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بينة .

د) ومنها أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه .

هـــ) ومنها مخالفة الحديث لصريح القرآن

ثم قال : [ويشبه هذا ما وقع فيه الغلط من حديث أبي هريرة ''وخلق الله التربـــة يـــوم السبت '' وهو في صحيح مسلم وهو مخالف للقرآن الكريم]

انتهى من كلام ابن القيم في المنار المنيف[1] ص43 وما بعدها .

ولقد لخصه ـــ أي المنار ـــ العلامة علي القاري في كتابه (الأسرار المرفوعـــة في الأخبـــار الموضوعة) ص399 ، لخصه وذكر ما فيه مقراً له ، و (الأسرار المرفوعة) مطبوع في المكتـــب الإسلامي السلفي بتحقيق محمد لطفي الصباغ.

7. الأستاذ صبحي الصالح .. ((1925 واغتيل في 7أكتوبر 1986))

قال الأستاذ الدكتور صبحي إبراهيم الصالح في كتابه علوم الحديث ومـــصطلحه ص264 فيما يتعلق بمسألتنا هنا. قال :[وقواعد هذا المنهج ـــ بقصد معرفة الحديث الموضوع ـــ كثيرة أشهرها خمس نذكر منها :

القاعدة الثانية : أن يكونَ المروي مخالفاً للعقل أو الحس والمشاهدة غير قابل للتأويل ـــ وبعد أن ذكر بقية القواعد ـــ قال : وإننا نكرر مع ابن الجوزي " ما أحسن قول القائل إذا رأيـــت

-(1)- من منشورات مكتب المطبوعات الإسلامية ، حققه الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة الحنفي رحمه الله .

الحديث يباين المعقول أو يخالف المنقول أو يناقض الأصول فاعلم أنه موضوع "] علوم الحديث ومصطلحه صبحي الصالح ص274

وها قد ذكرنا طرفاً من أقوال المحدثين وأهل العلم السابقين واللاحقين من السلفية وغيرهم . ولو ذهبنا نطلب المزيد من مثل هذه النصوص التي تؤيد ما أردت لفت الانتباه إليه في قضيتنا هذه ، لما انتهينا من قريبٍ أبداً ، ولطال بنا البحث وتشعبت بنا الآراء والأفكار . ومن أراد الزيادة فليسعَ لها سعيها .

وأمّا الآن فإني سأفرد مساحةً من بحثنا هذا ولو بسيطة لأقوال وآراء علماء أهل التوحيد والعدل في هذه القضية ..

1. قاضي القضاة الأمام عبد الجبار الهمذاني رحمه الله تعالى .

يُعدّ القاضي عبد الجبار من كبار أئمة المعتزلة في زمانه [1]، وإليه انتهت رئاسة وإمامة أهل

-(1)- هو الإمام عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الله الهمذاني ، توفي 415 هـ ولا تذكر كتب التاريخ والتراجم سنة مولده إلا أنّهم يقولون أنّه عمّر طويلاً ، (قاضي القضاة) لا يطلقون هذا اللقب على سواه ولا يعنون به عند الإطلاق غيره ، كان إمام أهل الإعتزال في زمانه ، فقيهاً ينتحل مذهب الشافعي في الفروع ، وهو يعدّ من معتزلة البصرة . قال عنه بعض العلماء : وليست تحضرني عبارة تنبئ عن محلّه في الفضل وعلوّ منزلته في العلم، فإنّه الّذي فتق الكلام و نشره و وضع فيه الكتب الجليلة الّتي سارت بها الركبان و بلغ المشرق والمغرب، وضمّنها من دقيق الكلام و جليله ما لم يتّفق لأحد قبله، وطال عمره مواظباً علي التّدريس والتصنيف حتّي طبّق الأرض بكتبه و أصحابه . وبَعُدَ صوته وعظم قدره وإليه انتهت الرئاسة في المعتزلة حتي صار شيخها و عالمها غير مدافع، وصار الاعتماد علي كتبه و مسائله حتى نسخ كتب من تقدّم من المشايخ و قرب عهده، و شهرة حاله تغني=

العدل والتوحيد ((المعتزلة)) في القرن الرابع الهجري ، وكان ـــ رحمه الله تعالى ـــ إمام عصره في علم الكلام ، وأستاذٌ يشهد له الكبراء في العلوم والأصول كافّة ، وقد ذكر هذا الإمام الجليل كلاماً يخص بحثنا هذا في كتابه ((طبقات المعتزلة)) أذكره هنا باسم المعتزلة جمعاء قال رحمه الله (ص194)

[وهذا هو الذي نقول : أنّ خبرَ الواحدِ لا يُقبل إذا خالف الكتاب والسنة المقطوع بها]
وفي ردّه على اتّهام المعتزلة بالإقلالِ من النظر في الحديث قال رحمه الله تعالى ص195 :

[ظنّهم أنّهم لا يعملون على الأحاديث المروية عندهم وهذا خطأٌ عظيم ، لأنّهم إنما لا يعملون عليها لأنّ العمل عندهم على أدلّة العقول التي لا تحتمل ، وعلى أدلّة السنّة القاطعة والإجماع القاطع هو الواجب دون أخبار الآحاد ، التي قد يعتمد فيها الكذب وقد يقع فيها السهو والنسيان والتغيير والتبديل !! والكذب يقع في أخبار الآحاد بعلم وبغير علم ! متعمّداً وغير متعمد ولا عصمةَ إلّا لمن عصمه الله تبارك وتعالى]

= عن الاطناب من وصفه. وفيه يقول أبو الأسعد الآبي في قصيدة له في التوحيد والعدل :

أم لكم مثل إمام الأُمّة * قاضي القضاة سيّد الأئمّة
من بثّ دين الله في الآفاق * وبتّ حبل الكفر والنفاق

كان يقول عنه الصاحب بن عباد : [هو أفضل أهل الأرض ، ومرة يقول : هو أعلم أهل الأرض]
وقد سمع من بعض كبراء المحدثين ، وله في الفقه اختيارات ، وقد قال عنه الذهبي في السير : [العلامة المتكلم ، شيخ المعتزلة ، أبو الحسن الهمذاني صاحب التصانيف ، من كبار فقهاء الشافعية] وله في التفسير وعلوم القرآن من العلم الكثير ، ((وشهرة حاله تغني عن الإطناب فيه)) وله من الكتب ما سار بها الركبان واشتهرت في الآفاق .... نذكر منها : ا_ الدواعي والصوارف ب_ المغني ج_ الخاطر د_ المحيط بالتكليف ه_ المحيط في تفسير القرآن و_ شرح الأُصول الخمسة ز _ شرح المقالات ح_ الحكمة والحكيم وغيره الكثير .. وكل هذا في الكلام .
أمّا في أصول الفقه : ا_ النهاية ب_ العمدة ج_ شرحها وغيرها الكثير
أمّا في النقض على المخالفين : ا_ نقض اللمع ، ب _ نقض الامامة وغيرها
وجوابات مسائل كثيرة ، وفي الخلاف والمواعظ : ا_ الخلاف بين الشيخين ، ب _ نصيحة المتفقّهة ج_ شرح الآراء
وله كتب في علوم القرآن وتفسيره : ا_تنزيه القرآن عن المطاعن ب_ تفسير المتشابه ج_ الأدلّـه د _ شهادات القرآن . انظر ترجمته في مقدمة كتابه متشابه القرآن . وطبقات المعتزلة . وشرح عيون المسائل . وكتب التراجم .

2. أبو القاسم الكعبي البلخي . ((273/ 319 هــ))

وهو من كبار علماء أهل التوحيد والعدل [1]، ومن نّظراء أبي علي الجبّائي المعتزلي المشهور ، وهما من الطبقة الثانية وله تصانيفٌ كثيرة تدل على اتساع علمه وعلوّ كعبه ، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

يقول رحمه الله تعالى في كتابه ((قبول الأخبار ومعرفة الرجال)) وذلــك عنــد شــرحه للأسباب الباعثة له على تأليف هذا الكتاب ، قال في خطبة الكتاب :

[وبعد ... أعزّك الله وأدام توفيقك وجعلك من المتثبتين في الدين ، ووقاك الإفراطَ وحبّبَ إليك الفحص ، فإنّي لما عارضت شيخنا أبا الحسن رضي الله عنه في كتابه الذي طعن به عــل خــبر الواحد . وقلت في إثباته وإيجاب قبوله في المواضع التي ذكرتها وعلى الشرائط التي بينتــها مــا وقفت عليه ، خفت عليك أن تجاوزَ الحدّ في حسن الظنّ بأخبار كثيرٍ من أهل الحــديث ، وأن تغترّ بانتشار ذكرهم وبُعد صوتهم عن أصحابهم ، فعملتُ كتابيَ هذا وذكرت فيه أحوال القــوم وما قاله بعضهم في بعض دون ما قاله فيهم خصومهم ، ووصفوهم به من المناقضة والخطأ لتعرف بذلك مقدارهم ، وتعلمَ أنّ من الواجب اللازم التثبت وتقديم سوء الظنّ إلا بما ينظر فيه مما رووه فتجده غير مخالف لـــ :

1 ــ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

2 ــ ولسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المجمع عليها .

-(1)- هو الإمام أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد البلخي ، ويعرف بالكعبي نسبة لبني كعب . عالمٌ متكلمٌ من متكلمي المعتزلة البغداديين ، ورئيس أهل زمانه . قال عنه القاضي عبد الجبار في كتابه ((فضل الإعتــزال وطبقــات المعتزلة)) وقد ترجم له في الطبقة الثامنة : [وهو متفنن في علم الكلام وفي علم الفقه أيضاً ، فأمّا الأدب فناهيــك] وكان يُعظم ويُجَلّ من قبل العلماء .

له من الكتب : ا- الاسماء والأحكام ب- الإستدلال بالشاهد على الغائب ج- الجدل وآداب أهله وتصحيح علله د- الجوابات لأبي قاسم البلخي هــ - السنة والجماعة و- طبقات المعتزلة ز- أوائل الأدلة في أصول الدين ح- قبول الأخبار في معرفة الرجال (5 مجلدات) ط- التفسير الكبير للقرآن الكريم ك- بعض النقض على المجبرة

وقد وصلت كتبه إلى ستة وأربعين كتاباً تقريباً .

3 ــ ولإجماع الأمّة التي توعّد الله من ابتغى غير سبيلها .

4ــ أو لعملِ الصدر الأوّل من السلف الصالح رضوان الله عليهم ، فإنّهم كانوا أعلم بمراد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم الذين شاهدوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعرفوا الناسخ من المنسوخ والمتأخر .

5 ــ أو للعقل الذي جعله الله حجّةً على عباده .

وتعلمَ أيضاً أنّ أصولَ الكلامِ المجتمع عليها ليس يجب أن يقبل فيها إلا الأخبار المتواترة التي لا يحتاج فيها إلى أسانيد ولا إلى فلان عن فلان ، وكذلك الأمر العام الذي يحتاج إليه الأكثر ليس يقبل فيه إلا خبر الجماعة وعمل الأمة] انتهى كلام البلخي رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته .

ويفهم من كلام أبي القاسم البلخي أنّ الحديثَ أو الروايةَ التي تخالف الكتاب والسنة والإجماع أو العقل فهي مردودة غير مقبولة . ثمّ عقد الإمام أبو القاسم البلخي فصلاً في كتابه المذكور تحت عنوان (باب ما جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن السلف) في ترك قبول ما يخالف الكتاب والسنة وحجّة العقل ، ثم عقد رحمه الله باباً عنوانه (مّما رووه من العمل على خلافه) وذكر فيه عشرات الروايات الحديثية التي جاءت على خلاف ما عليه الناس من العمل والسنّة . وسنذكر مثلها في وقته ومحله من بحثنا هذا ....

بل إنّ منهج المعتزلة في قبول الروايات الحديثية لا يحتاج التدليل عليه كثير شرح ولا كثير نقل . فإنّهم متفقون جميعاً على أنّ النصوص بنقل الواحد عن الواحد متى خالفت العقل والقرآن والعدل فهي مردودة .

وإليك أخي القارئ الكريم هذه الحادثة التي وقعت مع إمام من أئمة أهل التوحيد والعدل وهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبّائي من أعيان الطبقة الثامنة [1]، وفيها دلالة واضحة على

-(1)- هو الإمام العلامة أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبّائي ولد سنة (235) وتوفي في شعبان (303) هــ قال قاضي القضاة في الطبقات في الطبقة الثامنة :[ومنهم بل أفضلهم أبو علي ... قال أبو الحسن الفرزروي:= =كان من أعظم الناس وأبعدهم صوتاً وذكراً . قال : وكان الشيخ أبو علي مع علمه ، حسن التواضع ..وقيل أنّ أصحابنا احرزوا ما أملاه فوجدوه نحو مئة الف وخمسين الف ورقة . وكان يقول : إنّ الكلام أسهل شيء لأنّ العقل يدلّ عليه . قال : (عن محمد بن أبي عمر الباهلي) وكان أبو علي من أحسن الناس وجهاً وتواضعاً ، وأكثرهم

منهج أهل العدل والتوحيد في التعامل مع خبر الآحاد .

قال أبو عليٍّ رحمه الله تعالى : كان عندي التركاني[1] فقال : ما تقول في حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة (لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها)

فقلت : هو صحيح

قال : فبهذا الإسناد حديث ''حجّ آدم موسى[2]''

قلت : هذا باطل

قال : حديثان ، بإسناد واحدٍ صحّحت أحدهما وأبطلت الآخر ؟!

فقلت : ما صححت هذا لإسناده ولا أبطلت ذلك لإسناده ، وإنّما صححت هذا لوقوع الإجماع عليه ، وإنما أبو هريرة رجل من المسلمين ، وأبطلت ذلك لأنّ القرآن يدل على بطلانه وإجماع المسلمين ودليل العقل .

فقال : وكيف ذلك ؟

قلت : أليس في الحديث إنّ موسى لقي آدم في الجنّة فقال : '' يا آدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده وأسكنك جنته ، وأسجد لك ملائكته ، أتعصيه ؟؟ قال له : يا موسى أفترى هذه المعصية فعلتها أنا وكان كتب علي قبل أن أخلق بألفي عام ـــ وفي رواية بأربعين سنة ـــ؟ قال موسى : بلى وربي قد كتب عليك ، قال : فكيف تلومني على شيءٍ قد كتب علي !! فحجّ آدم موسى!!

فقلت للتركاني : أفليس الحديث هكذا ؟؟

موعظة ، فبينما نحن في كلامه حتى يذكر الموت ، فتتحدر دموعه على خديه ، ويأخذ في الموعظة حتى كأنّه غير ذلك الرجل . فقال ابنه أبو الحسن : كان ينتبه من منامه فإذا وجد ماء مسخّناً توضأ وإلا يمسح بالبارد وصلّى قليلاً ، ثم جلس ففكر فيما يريد أن يمليه ، وكان بالغداة يدعو إلى أن يصلي الضحى ... ويرجع فيجلس في مجلسه للإملاء . فما رأيت الملك على سريره إلا وهو أهيب وأجمل منه .

ويعرّفه ابن النديم في فهرسته بقوله : [هو من معتزلة البصرة ، ذلّل الكلام وسهّله ويسّر ما صعب منه ، وإليه انتهت رئاسة البصريّين في زمانه]

-(1)- وهو أبو القاسم علي بن حمد بن محمد التركاني البخاري ت 409 هـــ وهو من مشاهير محدثي همذان .

-(2)- وهو حديث معروف مشهور وقد رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

قال : بلى

قلت : أفليس إذا كان ذلك عذراً لآدم يجب أن يكونَ عذراً لكل كافرٍ وعاصٍ ! وأن يكون من لامهم محجوجاً ، قال : فخرس وإن كنت أنت الذي لم تنطق نطقت فقد نطق هو !! .

بهذا المنهج العقلي المتّسق مع مفاهيم كتاب الله الكريم والعدل ردّ أبو عليّ الجبّائي هذا الحديث ، لا بالنّظر إلى سنده ولكن لمخالفته قواعد العدل ومنطوق القرآن العظيم .

﴿ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ ((النجم : 31))

﴿ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ((يس : 54))

وغيرها من الآياتِ التي ترتّب الجزاءَ على العمل ، وتحمِل على كل نفسٍ ما كسبت وعملت إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، لا على ما كتب عليها كما يريد أن يوحي إلينا هذا النص المدافع عن أهل الكفر والمعصية !

ومعلومٌ أنّ إحدى أهمّ الطعونات التي توجه للمعتزلة بأنّهم لا يقبلون الحديث ، وأنّهم يردّونه بعقولهم ، فما وافق العقلَ أخذوه وما خالفه نبذوه . وقد تبسط هذه التهمة بعبارةٍ أوسع فيقال بأنّهم لا يقبلون النصّ المخالف لعقولهم ويقدمون العقل عليه . والنصّ يشمل الكتاب والحديث . وهذه التهمة بهذه العبارة ، والتي يدخل فيها مع المعتزلة غيرهم من مناهج واتجاهات إسلامية كالأشاعرة والزيدية وغيرهم . وهذه التهمة كما عرضت فيها حيفٌ وتجنّي على أصحاب هذه الاتجاهات الفكرية ، وللردّ على هذا الحيف نقول بعد التوكّل على الله تعالى :

إنّ مصادرَ التلقي أصلاً عند كلّ العقلاء تنحصر فيما ذكره الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ ((النحل : 78))

فمصادرُ التلقّي ووسائل التعلّم وحجج الهدى تنحصر في السمع ، ومنه ــ النقل الصحيح ــ أو المشاهدة والرؤيا بالأبصار ، والأفئدة وهو ما تعقله العقول وتحكم به الأفهام الصريحة، والعقلُ لا يتمّ لصاحبه إلا إذا صحّ له السمع والبصر ، فإنّهما مادة العقل وعن طريقهما تتكوّن

المعلومة التي يعقلها العقل ويتفكر فيها . فالعقل كما عرّفه الإمام قاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني رحمه الله تعالى هو [جملة من العلوم مخصوصة متى توفرت في المكلف صحّ منه النظر والإستدلال]

والعلوم المخصوصة هذه لا يتوصل إليها إلا بالسمع والبصر ، وبالتالي من حُرِم نعمة السمع والإبصار حيل بينه وبين الوصول للعلم ، وليس كل من أُعطيَ نعمة السمع والأبصار أعطي نعمة التفكير والعقل ، إذا أخذت منه القدرة على التفكر والتعقل وربط الأفكار والاستقراء وأنواع الإجراءات الفكرية وذلك حال المجنون ، وفاقد العقل عافانا الله وإياكم .

ومن هنا قيل (إذا أخذ ما أوهب فقد أسقط ما أوجب)

وجاء في الحديث الشريف : " رُفع القلم عن ثلاث وذكر منهم المجنون حتى يعقل "

والمقصود من هذا الاستطراد التأكيد على حصر مصادر التعلّم في الثلاث المذكورة آنفاً . وأنه لا يصحّ لعاقل أن يتعدى هذه المصادر الثلاث في طرق التعلّم ولا أنّ يتقلّد قولاً أو رأياً أو حكماً لا يستند إلى هذه الثلاث . ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ ((الإسراء : 36))

وما دام الله سبحانه وتعالى قد حصر سبل العلم في هذه الثلاثة ، وعلى ذلك دلّ العقل والشاهد ، فإنّه لا يجوز وبأي حالٍ من الأحوال أن يقعَ التناقض والتضادُّ بين هذه الثلاث ، ولا يمكن أن يأتي السماع بما يخالف البصر ، ولا أن يأتي أحدهما بما يخالف العقل أبداً . فإن جاء ذلك ولا يجيء أبداً أو خُيّل إلينا أنّه وقع مثل هذا التناقض أو التعارض فإنّ مثل هذه الخيالات لم تأت من حقيقة واقعة ولا من تناقضٍ صحيحٍ قائم ، بل إنّ هذه الخيالات إنّما وقعت في متوهّم الأفكار وشتات الظنون ، فلا يمكن أن تقعَ بين قطعيٍ سماعي وقطعي عقلي أو قطعي بصري وقطعي عقلي ،، ولكن تقع بين ظني سمعي ـــ ظني الدلالة أو ظني الثبوت ـــ وبين قطعي عقلي !! وعند مثل هذه الحالة يكون الخلاف بين قطعي وظني ، ومن الطبيعي جداً بل إنّ مما هو متفق عليه أن يُقدّم القطعي على الظني .

نعم .. قد يقع خلاف بين قطعي عقلي أو قطعي سمعي مع نص سمعي ظني الثبـــوت أو ظـــني الدلالة فعند ذلك لا بد أن نقدم القطعي عقلياً كان أو سمعيا على الظني سمعياً كان أو عقليـــاً .
أمّا إن جاء السمعي وكان قطعي الدلالة وكان قطعي الثبوت قرآناً أو نصاً نبوياً متواتراً فإنّـــه لا يمكن بحال أن يُعارض قطعي العقول ً .

وبالتالي فإنّ الأحاديث التي نتعرض لها بالردِّ ، أو نطالب بعرضها على العقل والكتاب وأصول الشريعة هي تلك الروايات الظنّية التي جاءت بطريق الإسناد برواية الآحاد ثقة عـــن ثقـــة إلى منتهاها ، فإنها وإن كانت برواية الثقات فلا تصل حدّ القطع بصدقها والقطع بنسبتها للرســـول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم . بل هي صحيحةٌ على غلبة الظنّ وعلى حسب الظاهر ، أمّا حقيقة الواقع والجزم به فدون ذلك خرط القتاد . ولقد نبّه علماء أصول الحديث علـــى هـــذا ومنهم ظفر الله التهانوي قي كتبه قواعد التحديث بتحقيق عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله حـــين قال فيما معناه : [أنّ حكمَ العلماء على حديثٍ بالصحة ليس جزماً أنّ مصدره النبي صـــلوات الله عليه وسلامه بل هو حسب ظاهر السند ، أمّا ما حقّه القطع والجزم واليقين بصحة نـــسبته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو المتواتر الذي نقله جمع عن جمع يستحيل تـــواطئهم علـــى الكذب والخطأ]

وذكر العلّامة الأمير الصنعاني في كتابه توضيح الأفكار ((ج1/ص24))
[(مسألة) تحت عنوان [في بيان مراد أهل الحديث بقولهم هذا حديث صحيح]
ـــ ذكر كلاماً عن الإمام زين الدين عبد الرحيم العراقي المحدث المشهور قوله ـــ : " وحيـــث يقول المحدثون هذا حديثٌ صحيح ، فمرادهم فيما ظهر لنا عملاً بظاهر الإسناد لا أنّه مقطـــوع بصحته " ـــ وزاد الأمير الصنعاني فقال معلقاً على كلام العراقـــي ـــ : " وهـــو ـــ أي كـــلام العراقي ـــ مأخوذ من كلام ابن الصلاح فإنّه قال : وليس من شرطه - يريـــد الـــصحيح – أن يكون مقطوعاً به في نفس الأمر ، وهذا كلام صحيح لجواز الخطأ والنسيان على الثقة ســـواء

أريد المصحح له من الرواة إلا أنّه لا يخفى أن هذا الإخبار عن مرادهم قليل الإفادة لأنّه معلـــوم أنّ ما في نفس الأمر لا يطّلع عليه إلا الله تعالى]

وإليك نصّ كلام ابن الصلاح ــ أبو عمرو عثمان الشهرزوري ــ من كتابه المعروف بـــ ((مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث)) وذلك في الصفحة الثامنة :[ومتى قــالوا ــ هــذا حديث صحيح ــ فمعناه أنّه اتصل سنده مع سائر الأوصاف المذكورة من العدالة والضبط بغير شذوذ ولا علّة وليس من شرطه أن يكون مقطوعاً به في نفس الأمر ، إذ منه ما ينفرد بروايتـــه عدد واحد وليس من الأخبار التي أجمعت الأمة على تلقيها بالقبول] انتهى

فإذا كان ذلك كذلك ، فليعرف وليعلم كلّ حاملٍ ومتحاملٍ على أصحاب المناهج الداعية لفهم الإسلام على ضوء العقل والنقل الصحيح فليَعلم أنّه قد ظلمهم أو أنّه لم يفهـــم ولم يعقـــل أصل المسألة .

فالتعارض الذي تتحدثون عنه هو الواقع بين نقلٍ صحيح مقطوع به ثبوتاً ودلالـــةً وبـــين العقل ، ونحن ومعنا كلّ من أعطى المسألة حقها ومستحقها نتحدث عن تعــارض بـــين نقلـــي مقطوع به دلالة وثبوتاً وبين نقلي ظنّي الدلالة أو الثبوت .أو بين عقلي قطعي ونص نقلي ظـــني الدلالة والثبوت .

إذ أنّنا ابتداءاً آمنّا إيماناً جازماً قاطعاً أن لا تعارض بين عقلي وسمعي أو بين عقلي ونقلي ما دام كلاهما قطعي الثبوت قطعي الدلالة .

المسألة عندنا هي تعارض بين محكم ومتشابه .

المسألة عندنا هي تعارض بين ظني وقطعي .

المسألة عندنا هي تعارض بين ظاهر للنصّ يحتمل التأويل ويحمل أكثر من وجهٍ ومعنى ، وبين قواطع نصّية ((قطعية الدلالة أو قواطع عقلية لا يختلف عليهـــا العقـــلاء)) .

المسألة عندنا تعارض بين نص منقول بالآحاد محفوف بأسباب الشكّ والـــضعف ، وإن كان ظاهره الصحّة ، وبين قطعي الكتاب أو قطعي السنة أو قطعي الدلالات العقلية .

بل فلنقل بأنّ الخلاف والتعارض في أحسن أحواله تعارض وتناقض بين منقول صحيح ظنّي ومنقول أصحّ منه ، أو صحيح قطعي نقلاً كان أو عقلاً .

وعلى ذلك .. فإنني أقول وبكلّ الثقة : أنّ كل الروايات التي رُدّت هي من قبيل هذا النوع ، فهي روايات ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة جاءت متعارضة ومتناقضة مع أصول الدين أو مع نصوصه القاطعة ثبوتاً ودلالةً ، أو مع صريح العقول وصحيح الوقائع المشاهدة المعلومة باضطرار . وعلى ذلك ستأتي الأمثلة قريباً إن شاء الله تعالى .

وقد يعترض أحدهم فيقول : هذا الذي ذكرته مختصٌّ بالروايات الحديثية ، فما بالك لم تتعرض لردّ ظواهر الآيات وكلّها قواطع أم هو الهروب والتفلّت ؟!

وهنا أقول بعد الاستعانة بالله تعالى .

إختصاص حديثي هنا فيما يتعلق بالروايات الحديثية فقط . وذلك يعود لسببٍ رئيس وهو أنّ أصل الحديث وأصل السبب في كتابة هذا المبحث وهو النقاش الدائر حول ردّ الحديث بعلّة المتن أو معارضته للقرآن العظيم والعقل ومخالفة الواقع ، ومن هنا جاء حديثي مختصّ بالروايات الحديثية ولم أتطرّق لظواهر الآيات القرآنية الحكيمة .

ومع ذلك فإني أقول ...

أعوذ بالله العظيم وأستجير بكفايته ورعايته أن تزلّ بي قدمٌ أو قلم ، فأقع عياذاً بالله في هذا المزلق فأردّ آيةً في كتاب الله أو نصّاً يقينياً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا أحدٌ من أهل الإسلام الداخلين في حكم القرآن ولا من علمائه الأبرار السابقين واللاحقين على مختلف توجهاتهم ومفترق أفكارهم يقع في ذلك . وأمّا حقيقة ما يحصل فهو صورةٌ أخرى من صور تطبيق القانون العلمي الذي يقضي بتقديم القطعي على الظني والمحكم على المتشابه .

وإنّه لمن المعلوم بالضرورة لكلّ متدبرٍ للقرآن الكريم أنّ القرآن العظيم فيه آيات محكمات وأخرى متشابهات كما قال عز من قائل في سورة ((آل عمران آية : 7))

﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

والقانون العلميّ والنص القرآنيّ يوجبان وباتفاق علماء الملّة تقديم المحكم على المتشابه وتقديم النصوص ذات الدلالة القاطعة على النصوص ذات الدلالة الظنّية .

وبما أنّ القرآن العظيم لا يخالف أبداً قواطع العقول التي هي أصلاً أساس حجة الله على عباده ، فإذا جاء ظاهر نصٍّ ظنّي محتمل الدلالة يخالف ظاهره دلالة العقول القاطعة فإنّه ومن خلال القرائن المصاحبة له حالاً ومقالاً ، وباعتماد لغة العرب وأصول التوحيد والعدل والتشريع يؤول مثل هذا النص على وجهٍ لا يحتمل التعارض والتضاد .

وهذا مبحث ذو ذيولٍ وتشعبات وليس هذا محل بحثه .

وليَكن في علم كلّ طالب علمٍ أو مشاركٍ فيه ، أنّ كثيراً من العلماء والأئمة قد ردّوا أو أوّلوا أو دفعوا كثيراً من النصوص الحديثية المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بسببٍ من مخالفتها لما هو أثبت منها وأصحّ من الأصول والمنقولات أو أنّ بعض هذه المرويات يخالف منهاج أولئك العلماء المتبوعين في الإستدلال واستعمال الأدلّة .

فلقد جاء عن مالك ابن أنس إمام دار الهجرة أنّه ردّ بعض أخبار الآحاد لمخالفتها للأصول العامّة القطعية المعمول بها عنده ، فقد ردّ خبر '' من مات وعليه صيام ، صام عنه وليّه '' وذلك للآيات المحكمة ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾

وردّ حديثَ ولوغ الكلب في الإناء الذي يوجب غسله سبعاً أولاهما بالتراب وقال فيه : [جاء حديث لا أدري ما حقيقته] وقال ابن العربي في ذلك أنّه خالف أصلين ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾ وثانيها : أنّ علّة الطهارة هي الحياة وهي قائمة في الكلب . ((حجة الله البالغة ص145))

ومن المعلوم لدى أهل العلم موقف الإمام مالك من عمل أهل المدينة واعتباره مصدراً مــن مصادر التشريع ، بل وتقديمه على الحديث الصحيح الذي خالف عمل أهل المدينة .. حيــث قال : [إذا أجمعوا ــ يريد أهل المدينة ــ على أمرٍ لم يعتد بخلاف غيرهم لهم] . وقدّم إجماعهم على أخبار الآحاد عند التعارض . وكذلك ردّ الإمام مالك العمل بحديث '' كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات يحرّمن ثم نسخ خمس رضعات معلومات يحرمن '' وقال :[ليس هذا عمل أهل المدينة] الموطأ ص608 طبعة دار إحياء الكتب

وأمّا الإمام أبو حنيفة النّعمان رحمه الله تعالى فإنّه من المعلوم من مذهبه أنّه كثيراً ما كان يرد بعض الروايات الظنية وروايات الآحاد لعلّة اختصّ بها منهجه في قبول الأحاديث .

فقد جاء في رسالة علميّة تحت عنوان ((مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدثين)) وقد نالــت شهادة الدكتوراة بمرتبة الشرف من جامعة الدراسات الإسلامية في الباكستان للطالب (محمــد قاسم عبده الجارمي) . ومن المعلوم أنّ جامعات الباكستان والهند تعجّ بالأحناف علماء وطلبة ، وأنّ المذهب الحنفي هو الغالب هناك ، وقبول تلك الرسالة هناك بما فيها يعــني قبــول علمــاء الأحناف هناك للنتائج التي توصّلت إليها ونالت درجة الإمتياز بناءاً عليهــا .. جــاء في تلــك الرسالة ص560 :

[ثمّ إنّ أبا حنيفة وأتباعه اشترطوا شروطاً في قبول خبر الواحد سواء كــان ضــعيفاً أو صحيحاً : 1 ــ أن يكون موافقاً لعموم الكتاب والسنة .

2 ــ أن لا يكون مخالفاً لأصل من الأصول المجمع على العمل بها .

3 ــ أن لا يكون فيه زيادة على القرآن لأنّ الزيادة نسخ .]

وقد قال الإمام محمد أبو زهرة في كتابه الإمام أبوحنيفة ص262 :

[أمّا إذا عارضت أخبار الآحاد أصلاً عامّاً من أصول الشرع ثبتت قطعيته ، فأبو حنيفــة رضي الله عنه يضعّف بذلك خبر الآحاد وينفي نسبته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم].

وذكر أبو زهرة عن ابن عبد البر رحمه الله قوله :

[وكثيرٌ من أهلِ الحديث استجازوا الطعن على أبي حنيفة لردّه كثيراً من أخبـــار الآحـــاد العدول ، لأنّه كان يذهب إلى عرضها على ما اجتمع عليه من الأحاديث ومعاني القرآن الكـــريم فما شذّ من ذلك ردّه وسمّاه شاذاً] .

ولقد نقل الشاطبي عن ابن العربي آراء العلماء في الحديث الظني إذا عارض الأصول .. قال ابن العربي : [إذا جاء خبر الواحد معارضاً لقاعدة من قواعد الشرع فهل يجوز العمل به ؟
قال أبو حنيفة : لا يجوز العمل به]

ولقد ردّ أبو حنيفة كثيراً من الأحاديث الظنية لمخالفتها القياس الجليّ عنده ، أو لأنّ مفـــاد هذه الأحاديث مما تعمّ به البلوى ولا يصح اعتماد الظنّ فيما تعمّ به البلوى ، لأنّ الواجـــب في مثل هذه المسائل أن يشيع حكمها خاصة أنها مما تتوافر الدواعي إلى نقله ، فلمّا لم يشع نقلـــه ولم ينتشر علم أنّه غير صحيح ، فلا يؤخذ به حتى لو جاء صحيحاً من طريقٍ واحد وذلك كرفـــع اليدين في الصلاة ومسّ الذكر ونحوه] .
انظر ((مذكرة أصول الفقه)) الشيخ محمد الشنقيطي ص144

وكذلك ردّ أبو حنيفة حديث '' لا يقتل مؤمنٌ بكافر '' ردّه بقوله تعـــالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ ((المائدة : 45)) وقوله تعـــالى : ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى ﴾ ((البقرة : 178))

...والناظر في كتب الفقه يرى الكثير من هذا الردِّ والتأويل . وراجع لذلك محمد أبو زهرة ((أبو حنيفة حياته وعصره وآراءه))

ولقد جاء النصّ صريحاً بلفظ أبي حنيفة رضي الله عنه في تبيان منهجه في تعامله مع أخبـــار الآحاد وكيف يقبلها أو يردّها . وهذا النص الذي سأذكره إن شاء الله تعالى هنا وأتلوه بلفظـــه هو السبب الرئيس في كتابة هذا المبحث أصلاً كما ذكرت في بداية هذه الورقات . وهذا النص

عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى جاء في كتابه ((العالم والمتعلم)) وقد طُبع هــذا الكتــاب مــراراً إحداها بتحقيق العلامة المحدث ((محمد زاهد الكوثري)) رحمه الله تعالى ، وذلــك في المكتبــة الأزهرية في مصر . وأمّا النسخة التي نقلت عنها فهي من مطبوعات مكتبة الهدى في حلــب في سوريا ، وقد حققها كلٌ من ((محمد رواس قلعه جي وعبد الوهاب الهندي الندوي)) وهو ــ أي الكتاب ــ عبارةٌ عن حوار على شكل سؤالٍ واستفسار من الطالب المتعلم وهو أحد تلامذة أبي حنيفة[1] ، وجواب شافٍ من العالم وهو هنا الإمام أبو حنيفة ، وقد جاء ضمن هذا الحوار مــا يلي وفيه مبتغانا ...

قال المتعلم رحمه الله :

[فما قولك في أناسٍ رووا أنّ المؤمن إذا زنا خُلع الإيمان من رأسه كما يخلع القمــيص ، ثمّ إذا تاب أعيد إليه إيمانه ، أتشك في قولهم أو تصدقهم ؟ فإن صدّقت قولهم دخلت في قــول الخوارج ، وإن كذّبت قولهم قالوا : أنت تكذب بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فــإنّهم رووا ذلك عن رجال حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟!] .

وقبل أن ننتقل لجواب الإمام نوضح ...

الإمام أبو حنيفة كان يميل إلى نوع من الإرجاء ، وكان يرى أنّ المعصية لا تخرج المؤمن عن إيمانه ، والحديث المذكور وهو مروي عند مسلم وغيره (لا يزني الزاني ....) والحديث المذكور يخالف تماماً ما عليه أبو حنيفة مما يعتقد أنّه توصّل إليه من الأدلة الأخرى ، فبالتالي فهذا الحديث يُردّ عند أبي حنيفة وكذلك كان جوابه لذلك المتعلم ، فإليك ...

ـ (1) ـ وقد اختُلف في شخصية هذا الطالب . والأصحّ والأكثر على أنّه أحد الإثنين

أ. أبو مقاتل حفص ابن سلمٍ السمرقندي

ب. أبو مطيعٍ البلخي رحمهم الله تعالى . والأوّل أصحّ والله تعالى اعلم .

قال العالم رضي الله تعالى عنه :

[أُكذّب هؤلاء . ولا يكون تكذيبي لهؤلاء وردّي عليهم تكذيباً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، إنّما يكون التكذيب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم .. أن يقول الرجل : أنا مكـــذّب لقول نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم . فأمّا إذا قال الرجل أنا مؤمن بكلّ شيء تكلّم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم . غيرَ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لا يتكلم بالجور ولم يخالف القرآن الكريم ،

فإنّ هذا القولَ منه هو التّصديق بالنبي والقرآن وتتزيهٌ له من الخلاف على القرآن . ولو خـــالفَ النبي القرآن ، وتقوّل على الله غير الحق لم يدعه حتى يأخذه باليمين ويقطع منه الوتين كما قـــال الله عز وجل﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ ((سورة الحاقــة : 45)) ونبيّ الله لا يخالف كتاب الله تعالى ، ومخالف كتاب الله لا يكون نبي الله . وهذا الذي رووه خلاف القرآن لأنّه قال الله تعالى في القرآن في الزانية والــزاني ﴿ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ ﴾ ((النساء : 16)) فقوله ﴿ مِنْكُمْ ﴾ لم يعنِ به اليهود ولا النصارى إنّما عنى به المسلمين . فردّ كلّ رجلٍ يُحدّث حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وســلم بخــلاف القرآن ليس ردّاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا تكذيباً له ، ولكن ردٌّ على من يحدّث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالباطل والتهمة دخلت عليه ليس على نبي الله عليه السلام ، وكذلك كلّ شيءٍ تكلّم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمعنا به أو لم نسمعه فعلى الرأس والعين قد آمنّا به ونشهد أنّه كما قال نبي الله عليه السلام .

ونشهدُ أيضاً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لم يأمر بشيءٍ نهـــى الله عنه، ولم يقطع شيئاً وصله الله ولا وصف أمراً وصف الله ذلك الأمـــر بغـــير مـــا وصف به النبي ، ونشهد أنّه كان موافقاً لله في جميع الأمور ، لم يبتدع ولم يتقـــوّل على الله غير ما قال الله عز وجل وما كان من المتكلفين . ولذلك قال الله تعـــالى ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ ((النساء : 80))

انتهى بنصّه ولفظه من كتاب ((العالم والمتعلم)) ص100 ـــ ص103

والنص واللّفظ لأبي حنيفـــة النعمـــان الإمـــام المتبـــع المـــشهور رضـــي الله عنـــه وأرضـــاه

وأنا وإن كنت نقلت عن أبي حنيفة حواره هذا ورأيه في أهل المعاصي ، وذكرت أنّه يميل إلى نوعٍ من الإرجاء ، وأنّ الإصرار على المعصية لا يخرج الفاسق عن إيمانه ، وأنّ أبا حنيفة رحمه الله حاله حال المرجئة كلّهم ، ويحيل الأمر إلى المشيئة فقد يُعذّب وقد يغفر له ، فإنّي ومـــن خـــلال فهمي وتدبري لآيات القرآن العظيم أؤمن أنّ الله تعالى قد أوعد أهل المعاصي بالعقـــاب مـــا لم يتوبوا ، وأنّ الله تعالى منجز وعيده لا محاله ، وأنّ مصير أهل الإصرار النار خالدين فيها عيـــاذاً بالله تعالى .

أمّ المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها تردّ مروياتٍ لمخالفتها القرآن والأصول

إنّ المنهج الذي اتّبعه أبو حنيفة رحمه الله تعالى وعلّمه تلامذته وسار عليـــه جـــلّ علمـــاء المسلمين ، وأكّدوا عليه في كتبهم ومصنفاهم كما أشرنا لطرفٍ منها في صفحاتٍ مبحثنا هذا ، لم يكن مبتدعاً من عنديّات أنفسهم ، بل هو المنهج الذي سارت عليه مناهج العقـــلاء جميعـــاً ، وهذه السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها وأرضاها تستعمل هـــذا المنـــهج وتعمـــل بمقتضى هذا القانون ، فتردّ ظواهر بعض الأحاديث ، وتستدرك على رواهّا وتحمل رواياهم على الخطأ والنسيان والذهول وتنزّه جناب الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن أن يتقلّـــد هو مخالفة القرآن الكريم . نعم .. تردّ هذه الروايات وحجتها في ذلك كما سنرى بما نـــضرب لكمٍ من الأمثلة . تردّها بمعارضتها للقرآن والأصول .

وقد يكون من المجدي لكلّ دارسٍ مطّلعٍ أن ينظرَ في كتاب الزركشيّ ((الإجابـــة في استدراك عائشة على الصحابة))

والآن تعالوا نحن وإياكم إلى الأمثلة نتدبّرها ...

1) جاء في صحيح الإمام المسلم عن مسروق قال :

قلت لعائشة رضي الله تعالى عنها: يا أمتاه هل رأى محمد ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ربه ؟ فقالت : ((لقد قَفَّ شعري مما قُلْتَ ، أين أنت من ثلاث من حدَّثكهنَّ فقد كذب : مَنْ حدَّثك أنَّ محمداً رأى ربَّه فقد كذب ، ثم قرأت ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ﴾

علماً أنّه قد جاء عن ابن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد رأى ربّه ، بل جاء بلفظ أنس أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال (رأيت ربي) ذكره الحافظ في ((الفتح)) (608/8)

2) ردّت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها على عمر بن الخطاب وابنه عبد الله في حديث " يعذب الميت ببكاء أهله عليه " وهو حديث رواه البخاري ومسلم برواية ابن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فلما سمعته عائشة قالت : يغفر الله لأبي عبد الرحمن ، أما إنّه لم يكذب ولكنه نسي أو أخطأ ، إنما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يهودية ماتت إنّهم يبكون عليها وهي تعذّب ، يعني بكفرها لا بسبب البكاء عليها ، واحتجت السيدة عائشة بقوله تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾

أمثلة على الروايات التي يخالف ظاهرها ما ذكرنا أو شيئاً منه

الآن وبعد ذلك التطواف المتواضع بين صفحات الكتب ورياض أهل العلـــم ، نحــطّ رحالنا في محطّتنا الأخيرة هذه ندلّك من خلالها عبر أمثلة مأخوذة من كتب الحديث علـــى صدق وصحّة ما قدمنا له ، أو هكذا نزعم على الأقل . ورجائي الأول والأخير لكلّ مـــن اطّلع على هذا المبحث أن يكون هذا المبحث بالنسبة له سبباً في مزيد من التفكر والبحث وباعثاً حثيثاً له يدفعه نحو مضاعفته الجهد والإجتهاد أيّد فكرتي أو رفضها . حـــتى يكـــون قبوله للفكرة وتأييده لها عن علمٍ ودرس وكذلك رفضه لها إن رفضها .

والله تعالى من وراء القصد ....

والآن إلى أول الأمثلة ..

أولها : القرآن الكريم لم يصلنا محفوظاً !!

من المعلوم لكلّ مسلمٍ علماً قطعياً جازماً ـــ ما خلا غلاة الرافضة ـــ أنّ القرآن العظيم الذي بين أيدينا وهو ما بين دفتيّ المصحف ، وأنّه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنّه محفوظٌ بحفظ الله تعالى له ، لم تلحقه زيادة ولم يعتريه نقص ، وأنّه بين أيدينا اليوم كما كان بين يدي رسول الهدى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه لم تلحق به زيادة ولم يعتريه نقص ... ولله الحمد والمنّة .

وهذا الإعتقاد الجازم هو ما تدين به طوائف الإسلام جميعاً ـــ خلا غلاة الرافضة ـــ. وقد حمل عليهم علماء السلفية خصوصاً وعلماء أهل السنة عموماً متناسين أو متجاهلين أنّ كثيراً من روايات الصّحاح لم تبقَ على نقاء هذا الاعتقاد ، ولا صفاء هذا التصور . وإليك أخي القارئ أمثلة على هذا الطعن في أقدس مقدسات الإســلام ـــ القــرآن العظــيم ـــ بأسانيد صحيحة برواية مسلم والبخاري وغيرهما !!.

الحديث الأول ...

أخرج الإمام مسلم في كتاب الزكاة ـــ باب كراهة الحرص على الدنيا (7/139) بشرح الإمام النووي . قال :

حدثني سويد بن سعيد. حدثنا علي بن مسهر عن داود، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه. قال:

''بعث أبو موسى الأشعري إلى قرّاء أهل البصرة. فدخل عليه ثلاثمائة رجــل قــد قــرءوا القرآن. فقال: أنتم خيار أهل البصرة وقرّاؤهم. فاتلوه. ولا يطولنّ علــيكم الأمــد فتقــسوا قلوبكم. كما قست قلوب من كان قبلكم. وإنّا كنّا نقرأ سورة ، كنّا نشبهها في الطول والشدّة

ببراءة. فأُنسيتها. غير أنّي قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مالٍ لابتغى وادياً ثالثاً. ولا يملأُ جوف ابن آدم إلا التراب. وكنّا نقرأ سورة كنا نشبهها بإحدى المسبحات. فأنـــسيتها. غير أنّي حفظت منها: يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . فتكتب شهادة في أعنـــاقكم. فتسألون عنها يوم القيامة '' .

قد يقول قائلٌ أنّ هذه سور أنزلت ثم نسخت ، وبغض النظر عن الخـــلاف الواســـع في مسألة النسخ في القرآن على أشكاله وأنواعه التي تذكر في كتب علوم القرآن الكـــريم . فـــإنّ نسبة النسخ لسورةٍ في حجم سورة براءة وأخرى في حجم المسبحات ثمّ لا يـــذكرها إلا أبـــو موسى الأشعري دون بقية الخلائق من الصحابة وخاصةً الحفاظ منهم ، فهذا أمر يستنكره العقل جداً !!. ولا تقبله السنّة الطبيعية في نقل الأخبار والأحداث خاصةً المهم منها مثل قضيتنا هنـــا التي تتعلق بالقرآن والذي كان أهم حدث في زمن الصحابة وصدر الإسلام ، كان الواجـــب أن يبادرَ الكثير من الصحابة ــــ هذا إذا لم يصل الأمر حد التواتر ــــ إلى نقل مثل هذه القـــضية . سورةٌ في حجم براءة تنزّلت وقرئت ثم نُسخت فلا يذكرها إلا أبو موسى الأشعري !! . إنّ هذا في القياس عجيب !! .

ومثل هذا الخبر يندرج تضعيفه وردّه تحت القاعدة التي أصّلها ابن القيم حيث قال في المنار المنيف : [ومنها ـــ أي الأمور التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً ـــ أن يدعي علـــى الـــنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه فعل أمراً ظاهراً بمحضر من الصحابة كلّهم وأنّهـــم كتمـــوه ولم ينقلوه] المنار المنيف ص57

فإذا كان الأحناف لم يقبلوا في المسائل التي تعمّ بها البلوى أحاديث الواحد عـــن الواحـــد ومثّلوا لهذه المسائل برفع اليدين في الصلاة ومسّ الذكر ، فماذا عسانا أنّ نقول في مثل مسألتنا هذه وهل يمكن لنا بحالٍ أنّ نقبل رواية الواحد عن الواحد فيها ؟؟ .

وشيءٌ آخرٌ مهمٌ أنّ هذا النص الذي ذكروه ضمن السورة الأولى ''لو كـــان لابـــن ادم واديان من مال لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب '' لو قارنّا هذا النمط اللغوي مع

نمط القرآن الكريم الذي هو أعلى أنواع الخطاب فصاحةً وبلاغةً وإعجازاً ، هل يمكن أن يتسقا أو أن يتساويا ؟! كلّا وألف كلّا .. وجهابذة اللّغة وكبراء القرّاء حكمٌ لنا أو علينا .

الحديث الثاني ...

أمّا الحديث الثاني فقد رواه البخاري في صحيحه كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ((7/102)) من فتح الباري برقم ((3550))

'' حدّثنا موسى عن أبي عوانة عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال : دخلت الشام فصليت ركعتين ، فقلت اللهم يسّر لي جليساً فرأيت شيخا مقبلا فلما دنا قلت أرجو أن يكون استجاب . قال : من أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة . قال : أفلم يكن فيكم صاحب النعلين والوساد والمطهرة ، أولم يكن فيكم الذي أجير من الشيطان ، أولم يكن فيكم صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره ؟ كيف قرأ ابن أمّ عبد والليل فقرأت والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى قال أقرأنيها النبي صلى الله عليه وسلم فاه إلى فيّ فما زال هؤلاء حتى كادوا يردوني '' .

هذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي جاء الحديث الصحيح عند البخاري يقول في حقّه : '' استقرئوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود ... '' هذا أحد أهمّ القرّاء يقرأ سورة الليل بإسقاط ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ ويقول أنّه قرأها كذلك من فيّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهل زيدت على المصحف ؟؟ أم غلط ابن مسعود ؟؟ أو نسي أو غلط من بعده من الرواة .!! الكلّ محتملٌ إلا النقصان في القرآن العظيم عياذاً بالله تعالى ، فالطعن في الرواة والطعن في كلّ الكتب ولا اتهام القرآن بالنقص أو الزيادة .

الحديث الثالث ...

((إسقاط المعوذتين)) !!!!

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرةً ثانية ، وفي البخاري أيضاً ليس غيره . الحديث برقم ((4977 ــ فتح الباري)) من كتاب التفسير .

'' عن عاصم بن زر قال : سألت أبيّ بن كعب قلت : أبا المنذر إنّ أخاك ابن مسعود يقول (كذا وكذا) فقال أبيّ : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي : قيل لي : فقلت . فنحن نقول كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ''

وقد بين الشارح ــ العلامة ابن حجر ــ أنّ المقصود من لفظة كذا وكذا ــ يعني أنّ أخاك ابن مسعود يحكّها من المصحف ــ ويبيّن ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى أنّ روايات صحيحة أخرى جاء فيها " إنّ عبد الله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين " وعلّل ابن حجر رحمه الله إبهام الرواية عند البخاري بقول :[وكأنّ بعض الرواة أبهمه استعظاماً له ، وأظنّ ذلك سفيان بن عيينه]

وذكر العسقلاني في شرحه أكثر من رواية عند أحمد وابن حيان وعبد الله بن أحمد في زيادات المسند والطبراني وابن مردويه من أكثر من طريقٍ أنّ عبد الله بن مسعود كان يحكّ المعوذتين من مصاحفه ويقول إنّهما ليستا من كتاب الله تعالى .

أخي القارئ الكريم ..

هذه رواياتٌ صحيحة بشهادة أمير المؤمنين في الحديث الإمام ابن حجر العسقلاني ، وهي تشهد بالطعن في القرآن العظيم وتواتره ، وذلك فقط باعتبار صحة السند ونقل الثقات كما يراد لنا أنّ نقبلَ ديننا دون تمحيص ولا تدبّر ، فنقبل ما يطعن في ديننا وقرآننا وإسلامنا ، والمهم في ذلك كلّه سلامة السند وعدم المراجعة والنقد لمنهج قبول السند ، بل لمنهج قبول الأحاديث الذي نظّر له علماء أهل الحديث على امتداد السنوات والعقود .

وقد يقول قائل : بل لقد قالوا وتأوّلوا فعل ابن مسعود ، وقالوا لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن ، وإنّما أنكرَ إثباتهما في المصحف ، وهذا تأويل وليس جحداً منه لكونهما قرآنا .

ولقد ردّ ابن حجر العسقلاني رحمه الله هذا التأويل بقوله :

[وهذا تأويل حسنٌ إلّا أنّ الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جـاء فيها " ويقول أنهما ليستا من كتاب الله "] .

والعجيب أنّ العسقلانيّ وبعد رفضه لهذا التأويل ولغيره ، يستكثر ويستهجن على النووي وابن حزم والفخر الرازي ــ رحمهم الله ــ إبطالهم لهذه الرواية وتكذيبهم لها بقوله : [والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستندٍ لا يقبل ، بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل] (!!!!) انتهى كلام ابن حجر ص ((**8/743**))

ولكنّ ابن حجر في موقفه ذاك لم يأت بالتأويل المحتمل المقبـول إلا بقولـه :[احتمـال أنّ القرآن كان متواتر في عصر ابن مسعود ، لكن لم يتواتر عند ابن مسعود فانحلت العقدة بعون الله تعالى] .

ولا أدري كيف يغفل ابن مسعود عن مثل هذا التواتر في مثل هذا الموضع وهو الذي يقرأه المسلمون في صلاتهم صباح مساء ، وفي تلاوتهم للقرآن الكريم ، وقد سجّله كتبة الوحي ووثّقوه في جمعهم الأوّل للقرآن العظيم في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، علماً بـأنّ الخلاف ظهر عند ابن مسعود في زمن عثمان رضي الله عنه بتحريق مصحف ابن مسعود وغيره من المصاحف كما جاءت بذلك الأخبار .

واعتقد أنّ حزم العلماء والدارسين في مثل هذه القضايا ينبغي أن لا يختلف وألّا يقلّ عـن حزم النووي والفخر الرازي وابن حزم ــ رحمهم الله ــ حين قطعوا بتكذيب هـذه الروايـات ورفضوها بالكلية ، حفاظاً على جناب القرآن وتتريهاً له من الطعن .

فقد قال النووي في شرح المهذب : [ما نقل عن ابن مسعود من إنكار المعوذتين فهو باطل ليس بصحيح] . فتح الباري ((**8/743**))

وأمّا ابن حزم ــ رحمه الله تعالى ــ فقال في المحلّـى (ص**732**) :[وأنّ القـرآن الـذي في المصاحف بأيدي المسلمين شرقاً وغرباً ، فما بين ذلك من أوّل القرآن إلى آخر المعوذتين كـلام

الله عز وجلّ ... وكلّ ما روي عن ابن مسعود من أنّ المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مـــصحفه فكذبٌ موضوعٌ لا يصح ، وإنّما صحّت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مـــسعود وفيها أم القرآن والمعوذتين] .
أمّا الإمام الفخر الرازي فقد نقل عنه العسقلانيّ وغيره من كتابه في التفسير قوله : [والأغلـــب على الظن أنّ هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل].

انتبه أخي القارئ ...
الروايات عن ابن مسعود برواية الواحد الثقة عن مثله في مسألة حكّ المعوذتين وأنّهما ليستا من كتاب الله تخالف المتواتر من قراءة ابن مسعود برواية عاصم ، فلاحظ الفـــرق والتنـــاقض . وكن أنت مع أصحّهما ومع القطعي منهما وهي المتواتر وألقِ خلاف ذلك وراء ظهرك .

الحديث الرابع ...

أمّا الحديث الرابع الذي نختم به هذا الفصل ، فهو قاسمة الظهـــر ومـــسقط كـــلّ عـــذرٍ للمدافعين عن الإسناد دون النظر في متن الروايات . وأمّا الحديث من صحيح مسلم فإليك ....
روى مسلم في صحيحه عن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها في كتاب الرضـــاع (**29/10**) بشرح النووي أنها قالت :
'' كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرّمن ، ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهنّ فيما يقرأ من القرآن ''

آياتٌ من القرآن الكريم على ذمّة هذا السند أنزلت على نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قرئت ثم نسخت إلى أخرى ومات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي تقرأ مـــن القـــرآن ثم اختفت !! لا نعلم إلى أين اختفت ومتى ؟ ولماذا ؟ وكيف ؟ ومن أخفاها ؟ وما هـــي مـــصلحته

وخاصة أنّ الآيات لا تخصّ أحد الفرقاء شيعةً أو سنّة أو غير ؟!! بل هي محض تشريع أســـري . وإذا صحّت هذه ولا أراها تصح .. بل هي باطلةٌ باطلة ! رغم هيبة الصحيح وهالته فإنّها ولا شكّ تشكّل طعنةً نجلاء في صحة القرآن الكريم وتواتره وحفظه ..!!!

ولا أدري ما يمكن أن يجيب أولئك المدافعون عن اعتماد السند كأصـــلٍ في قبـــول أو ردّ الروايات !! ماذا يمكن لهم أن يجيبوا عن مثل هذه الرواية ؟؟

فإن قالوا : هذا خبر آحاد والقرآن لا يثبت بخبر آحاد وهو معارض لما عليه المـــصاحف في زماننا هذا ، وهذا قادح في صحّة الحديث .. قلنا الحمد لله ، وهذا عين ما ندعوكم إليه ، وأقمنا هذه الصفحات لأجله . وهذا ما بحّ صوتنا ونحن نتلوه على أسماعكم ، ولكن نرجوا أنّ ثمّة مـــن يجيب . وأما إن صالوا وجالوا وحاولوا أن يأتوا بمخرجات وتأويلات ، فليأتوا بذلك إن كـــانوا يستطيعون .

وقد يلجأ بعضهم لترديد ما قاله النووي في شرحه لصحيح الإمـــام مـــسلم ((10/29)) :[ومعناه أنّ النسخ بخمس رضعات وجعلها قرآناً متلواً لكونه لم يبلغه النسخ ، لقرب عهده : فلمّا بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أنّ هذا لا يتلى]

أقول : هذا تمحّلٌ وتأويلٌ بعيد ، وإلّا كان الواجب على عائشة رضي الله تعالى عنها أن تبيّن خطأ أولئك الواهمين ، أو أن تقول " حتى ظنّ البعض أنها لم تنسخ " ولكن هي في الحقيقة تُحدّث عمّا تعلم ، فالرضعات العشر أخبرت عنها أنّها قد نسخت ، وأمّا الرضعات الخمس فلم تـــذكر ذلك في حقها ، ولم تقل أبداً أنّها نسخت تلاوة وبقيت حكماً كما يحلو للبعض أن يعدد أنـــواع النسخ ! .

ثمّ إنّ هذا النسخ الذي توهّم البعض عدمه ، وأنّ الآيات ما زالت قرآناً يتلى حسب تأويل النووي المذكور آنفاً . لماذا لم ينقل إلا عن السيدة عائشة ؟ ولماذا لا يتناقلـــه الـــصحابة ؟؟ وإذا كان قد نزل مثل هذا القرآن وتوفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم والبعض يظنّه قرآناً ما زال يتلى. لماذا وقع الخلاف بين الصحابة في مسألة الرضاعة ؟ وما الذي يحرم منها ؟ والخلاف بـــين الصحابة معلومٌ ، نجد تفاصيله وأسماء المتخالفين فيه في كتب الفقه المطوّلة .

مسألةٌ يترل فيها النص القرآني الحكيم بحُكمين ! الأول عشر رضعات ثم يُنسخ إلى خمس ! ثم تنسخ تلاوة الخمس ويبقى حكمها في حالةٍ لم تتكرر أبداً ؟؟! وهي لا شكّ تلفت النظر جداً ، ولا بدّ أن تكون مثار اهتمام عند كلّ علماء الصحابة ، ومع ذلك يقع الخلاف بين الصحابة أنفسهم الذين شاهدوا وتابعوا ذلك المراثون المُدّعى ، نزول حكم ثم نسخه بآخر ثم نسخ الآخر تلاوةً مع بقاء الحكم !! يا له من حكم !!

والعجيب أنّه رُوي عن عائشة أنّها لا ترى شيئاً دون عشر رضعات فصاعداً !! ورُوي أيضاً سبع رضعات كما روي خمس رضعات !!!! وذكر ذلك كلّه ابن حزم في المحلى ((**10/190**))

ولقد جاء هذا الحديث عند ابن ماجة في سننه ((**1/625**)) برقم ((**1942**)) عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّها قالت : " كان فيما أنزل الله في القرآن ثم سقط ــ بهذا اللفظ ــ لا يحرم إلا عشر رضعات أو خمس معلومات " ولا أدري بماذا حكم الشيخ الألباني رحمه الله على هذا الحديث ، ولكن رجعت إليه في صحيح ابن ماجة عبر الشبكة العنكبوتية فوجدته قد صحّحه!!!

ومّما يبعث على العجب ، بل قل على الأسى وهمّ كبير في القلبِ ، ومّما تقشعرّ له الأبدان أو قل من المضحكات المبكيات .. حقاً مضحكاتٌ مبكيات !! . ما رواه ابن ماجةَ برقم ((**1944**)) عن عائشة أنّها قالت : '' لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً ، ولقد كان في صحيفة تحت سريري ، فلمّا مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشاغلنا بموته دخل داجنٌ فأكلها '' وقد حسّنه الألباني في صحيح ابن ماجة ((فيا للعجب)) !!!!!!

وروى مثله أحمد بن حنبل عن عائشة بلفظ : '' .. فدخلت دويبةٌ لنا فأكلتها ''

وبهذه النماذج الأربعة التي ذكرناها ، نكون قد أوفينا ما قصدنا إليه من التنويه إلى ما تحمله المرويات من مناقضة لقضية من أهم قضايا الفكر الإسلامي ، ألا وهي حفظ القرآن العظيم وتواتره ، علماً بأنّنا لو أردنا أن نستوفي أو أن نستكثر من تلك الروايات التي تهزّ القرآن الكريم في حفظه وثبوته ، لأتينا من ذلك بالكثير في بقية كتب الأحاديث والإسناد . والعاقل تكفيه الإشارة والجاهل لا تكفيه العبارة !! .

ثانيها : أحاديث تعارض القرآن العظيم في أفكاره

القرآن الكريم هو الصراط المستقيم ، وهو حبل الله القويم من أخذ به هُدي ومن تركه ضلّ ، وهو منهج الإسلام وسبيل الإيمان ، وهو بشهادة رب العالمين .. يهدي للتي هي أقـــوم ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ((الإسراء : 9))

ولذا كان ينبغي على كلّ مسلمٍ مؤمنٍ أن لا يقدّم على كتاب الله تعالى شـــيئاً أبـــداً ، وأن يدفع بكلّ تلك المرويات التي تخالف القرآن الكريم ، وتتعارض مع أحكامه وأفكاره إلى حيـــث ألقت . وأن يكون سبب رفضها أولاً وقبل كل شيء مخالفتها للكتاب ! وإن صحّ سندها وعُدّل رجالها ، هذا ما ينبغي وما يجب اعتماده ، في حين أنّ الواقع يخالف هذا الأمر تماماً ، بل إنّ هذه الأحاديث لا تمرّر فقط ، بل تعتبر هي الحكم في المسائل عند احتدام الخلاف ، وسأضرب لـــك أخي القارئ الكريم هنا بعضاً من تلك الأحاديث ، حيثُ لا يمكنني في هذه العجالة أن أســـردها جميعها ، أو كلّ ما أحفظ منها وأعرفه .

الحديث الأول ..

روى مسلم في صحيحه بشرح النووي عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فقال :

" خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الإثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم -عليه السلام- بعد العصر من يوم الجمعة -في آخر الخلق- في آخر ساعة من ساعات الجمعـــة ، فيما بين العصر إلى الليل "

ومجموع الأيام التي تمّ فيها الخلق حسب هذا الحديث هي سبعة أيام كما هـو الظـاهر ، وهذه مخالفة صريحة للقرآن الكريم الذي قرر وفي أكثر من آية أنّ الخلق تمّ في سـتة أيـام ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ((الأعراف : 54)) ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَـا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ ((ق : 35))

والحديث هنا يتحدث عن سبعة أيام كأيام أهل الأرض التي تنتج أصلاً عـن دوران الأرض حول نفسها ، فهو يثبت أحداثاً يوم السبت والأحد وغيرها ، قبل استكمال خلق الأرض التي لا بدّ أن تدورَ أولاً حول نفسها حتى ينتج اليوم المكون من أربعٍ وعشرينَ (24) ساعةً حسب تقدير الله وإرادته ، والحقّ أنّ تعبير القرآن الكريم عن فترة الخلق بالأيام الستة يحمل على ستة فتـرات زمنية وآماد متطاولة ، عبّر عنها القرآن بالأيام الستة .

والحديث فيه تجاوزات وعليه ملاحظات أخرى كثيرة ليس هذا محلّ الحديث عنها . وقد طعن بعض العلماء في هذا الحديث وبعضهم ذكر أنّ أصل هذا الحديث كلام لكعب الأحبار اليهودي الأصل الذي كان يجالسه أبو هريرة ، وقد اشتبه بعضهم ونسبه للنبي الكريم سيدنا محمد صـلى الله عليه وآله وسلم .

الحديث الثاني ..

" شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي "

وقد صححه الألباني برقم (3714) صحيح الجامع !!!

هذا في الحديث !! أمّا في القرآن الكريم الذي هو كلام رب العالمين ومالك يـوم الـدين ، والذي لا يتكلم أحد يوم القيامة إلا بإذنه ، ولا يقولون إلا ما يرضاه ، ومن له الشفاعة كلها . ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ((الزمر : 44))

أمّا القرآن العظيم فيقول عن الشفيع والمشفّع فيه :

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ ((الأنبياء : 28)) وقال تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ ((طه : 109)) وقال تعالى :﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى ﴾ ((النجم : 26))

فالآيات المتلوّة آنفاً تقصر الشفاعة على من نال الرضى من الله ، وهم المؤمنون المسلمون الموحدون ، العاملون الطائعون .. وخلاف هذا الصنف فقد جزم القرآن الكريم أن لا شفاعة لهم ولا ناصر ، بخلاف هذا الحديث المختلق ، رغم تصحيح بعض العلماء له ، منهم الألباني ومقبل بن هادي الوداعي وغيرهم من علماء أهل السنّة !! .

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ ((البقرة : 270))

﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ ((آل عمران : 192))

﴿ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ((الشورى : 8))

إلى غير ذلك من الآيات ، وسواها من الآيات التي رتّبت العقاب على عدد من المعاصي ، كأكل الربا والتولّي يوم الزحف وأكل مال اليتيم ، وقتل النفس التي حرّم الله وغيرها .

الحديث الثالث ..

والحديث عن الشفاعة يفتح المجال واسعاً لو أردنا أنّ نتابع الأمر بالتفصيل ، أو ما له من متعلقات ، لكن لا يفوتني أن أقول أنّ المجادل قد يستشهد علينا بأحاديث الخروج من النار بعدما حمشتهم النار وأحرقت وجوههم ، وأحاديث الخروج من النار كثيرة كثيرة في الصحاح وغيرها من كتب الحديث ، منها ما حُكم عليها بالصحة باعتبار سنده ، ومنها الضعيف والموضوع

المختلق بحكم علماء الحديث أنفسهم . ومن علماء أهل السنة من تجاوزوا وحكم لمثل هذه الأحاديث بأنها متواترة !، والصحيح أنّ حدّ التواتر لم يتحقق في واحدٍ منها أبداً ، إذ التواتر أصلاً ليس من مباحث أهل الإسناد ، بل استفاضته وتواتره عند الأمة جيلاً عن جيل يغني عن حكم أهل الإسناد ، كما الحال في نص القرآن الكريم ، فهل صحّ لأحد منكم يا أهل الحديث أن رأى أو سمع أنّ أحداً نقل آية بسند ؟ فضلاً عن أنّ حكم لها بمقتضى ذلك السند ؟!!! ولو سمع أحدكم هذا لحكم على المتكلم بالجنون أو بالخبل ، وكذلك المتواتر من الحديث لو كان ثمّة تواتر إلا في السنن العملية والطريقة النبوية في القيام بأعمال الإسلام كالصلاة والحج والصيام وصلاة الجنائز وغيرها ..

وأمّا أحاديث الخروج من النار فأعجبها وأنكرها وأكثرها غرابةً ذلك الحديث الطويل الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم وغيرهما ، وهو حديث يحوي كثير من العجائب والغرائب !! ومرادنا هنا أنّ نذكر منه طرفاً واحداً لا غير ، وهو متعلق بالشفاعة والخروج من النار وهو ما نصه :

" ... فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشدّ مناشدةً لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلّون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم . فتحرم صورهم على النار ، فيخرجون خلقا كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه . ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقا كثيرا . ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا .

ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً . ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً .

ثم يقول : ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً (وفي روايةٍ : "من وجدتم في قلبه خردلةً فأخرجوه ") فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها

قوماً لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة ... فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدّموه ''
هذا الحديث رواه مسلم بـــشرح النـــووي (3/29) ورواه البخـــاري ((7437ـــــ 7439))

ولنا هنا أن نقول .. إذا كان المؤمنون والملائكة والنبيّون قد تـــشفعوا في أهـــل المعاصـــي الداخلين في النار فأخرجوهم منها ، من كان منهم يصلي ويصوم ويحج ولكنّه قـــصّر في أمـــور أخرى ، ثم يؤذن لهم فيخرجون منها حتى من كان في قلبه ذرة إيمان حتى قالوا بعد ذلك كمـــا جاء في نص الحديث " ربنا لم نذر فيها خيراً " عند مسلم

فما بال أولئك الذين أخرجوا بقبضة الرحمن ممن لم يعمل خيراً قط ، وهل يخرج من النار أو يدخل في الجنة أحد لم يعمل خيراً قط ، ولا حتى ذرةً من إيمان . بل لم ينطق بكلمة التوحيد !! إذ أنّ من في قلبه ذرة إيمان أو نطق بكلمة التوحيد خرج بشفاعة الشافعين حسب منطـــوق هـــذا الحديث الصحيح !! . وهل يوافق هذا الحديث ما جاء في الآيات المحكمات مـــن أنّ الجنـــة دار جزاء وثواب على العمل الصالح كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ((الزخرف : 72)) ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِـــكَ يَـــدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ ((مريم : 60)) ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُـــونَ سَـــلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ((النحل : 32)) ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ((المرســلات : 43)) ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ((الجاثية :21))

بل إنّ القرآن الكريم وبكلّ الوضوح والبيان ، وبكلّ آياته المحكمات البيّنات الواضـــحات يقضي ويحكم أنّ من دخل النار فلا يخرج منها أبداً .

يا أهل الجنة خلودٌ بلا موت ويا أهل النار ـــ عياذاً بالله تعالى ـــ خلودٌ بلا مـــوت

ويجزم القرآن الحكيم أنّ فكرة الخروج من النار من رواسب أفكار اليهود المحرفة !!
﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ((البقرة : **82/80**)) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ((آل عمران : **24**)) ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً* وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً ﴾ ((النساء : **124/123**))

وقطعت هذه الآيات المحكمة وأخواتها من الآيات البينات قول كلِّ خطيب ، وأرغمت أنف كل من يتقن فنّ اللف والدوران . وهناك المزيد لمن أراد الزيادة .

الحديث الرابع ..

و حديث آخر يخالف القرآن الكريم . جاء في صحيح مسلم بشرح النووي (**17/85**) كتاب التوبة ــ باب سعة رحمة الله تعالى

عن سعيد بن أبي بردة ، عن أبيه ، عن أبي موسى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : '' إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل مسلم يهودي أو نصراني فيقال هذا فداك من النار'' وفي رواية ثانية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : '' لا يموت رجلٌ مسلمٌ إلّا أدخل الله مكانه يهوديّاً أو نصرانيّاً '' وفي رواية ثالثة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : '' يجيء الناس يوم القيامة ، ناس من المسلمين ، بذنوب أمثال الجبال . فيغفرها الله لهم . ويضعها على اليهود والنصارى ''

أين هذا النص المشرّع للظلم !! الهادم لناموس العدل من قوله عزّ وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّـــذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ ((المائدة : 8))

فهل يبيح لنا عداؤنا لليهود والنصارى أن نحمّلهم من أوزارنا وذنوبنا فتوضع عليهم من غير ذنبٍ اقترفوه ولا جرم ارتكبوه ، ولكنّ القرآن العظيم يقرّر بلا مواربة وبكلّ الجــلاء والحـــزم والحسم ..

﴿ أَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ*وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلّا مَا سَعَى*وَأَنّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ ((النجم : 28 ، 29))

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ((المدثر : 38))

﴿ وَاتّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمّ تُوَفّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُـــونَ ﴾ ((البقرة :281)) ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًـــا ﴾ ((النساء :111))

يكسبه على نفسه وليس يكسبه على اليهود والنصارى ..!!!

وغير ذلك من الآيات التي بيّنت بما لا مجال للشكّ فيه ولا الغموض ، أنّ الإنسان مسؤولٌ عن أعماله ، وأنّه إنّما ينال ما يناله في الآخرة من الثواب أو العذاب بحسب ما اكتسب وعمل ، وأنّ أحداً لا يحمل وزر غيره !! إلّا إذا كان سبباً في هذا الوزر وداعياً إليه ، وهذا لا يقتصر على اليهود والنصارى ، بل الدالّ على الخير كفاعله ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها نصرانياً كان أو غيره .

الحديث الخامس ..

((أحاديث الرؤية)) !!

جاءت أحاديثٌ كثيرة وبمخارج مختلفة ، تؤكّد رؤية الله تعالى وتثبت جوازها ومنها '' إنّكم سترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليس بينكم سحاب '' كما عند البخاري ومسلم وغيرهما ومنها : '' إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال : يقول الله تبارك وتعالى : تريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة ، وتنجينا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر إليه " رواه مسلم

وأحاديث الزيادة التي فسروها بالرؤية في الجنة ، وذلك في قوله تعالى ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ وغيرها من الأحاديث التي ليس هذا محلّ حصرها، ولكنّها في الجملة تتعارض مع قوله عزّ وجلّ ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاء إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ ((الشورى : 51)) وقوله تعالى ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ((الأنعام : 103))

وهما الآيتان اللتان استدلّت بهما السيدة عائشة رضي الله عنها وأرضاها على كذب من روى أنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه في رحلة المعراج .!!

وقد يحتج بعضهم بآيات من القرآن الكريم مثل قوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ ((القيامة : 23/22)) وغيرها من الآيات .... وهي آياتٌ لا بدّ من التفكّر فيها وفهمها على ضوء المحكمات من الآيات الكريمة واللّغة العربية والبرهان العقلي .

ثالثها : أحاديث صحيحة تعارض بعضها بعضاً

إذا كان ثمّة أحاديثٍ قد عارضت آيات القرآن الكريم ولم نأت إلّا على جزء بسيط منـــها ، فإنّ بعض هذه الرواياتٍ الصحيحة سنداً قد عارضت أخرى صحيحة مثلها !! بحيث لا يمكـــن الجمع بينها أو التأويل إلا بإسقاط أحدهما ، مما يفقد الثقة في الطرف الآخر ، إذ ليس بأولى من غيره بالإثبات والاعتماد ، وهذا يبيّن المدى الذي وصلت إليه الروايات من التثبت والمصداقية .

أولاً .. أحاديث صلاة الكسوف

لقد كُسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرةً واحدة يوم مات ابنه إبراهيم عليه السلام ، وظنّ الناس أنّ الشمس إنّما كسفت لموته ، فبيّن لهم نـــبي الله صــــلى الله عليه وآله وسلم أنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت أحدٍ ولا لحياته ، وأنّه يُندب للمسلمين الفزع إلى الصلاة حين وقوع الكسوف ، وكذلك فعل النبي صــــلى الله عليــــه وآله وسلم حين كسفت الشمس يوم مات إبراهيم عليه السلام ، ولكـــنّ الروايـــات عنـــدها اختلفت أشدّ الخلاف في كيفية تلك الصلاة !! رغم أنّ هذه الصلاة لم تحدث إلّا مرةً واحدة !! حتى ساغ لإمامٍ مثل الشوكاني أن يبوب في كتابه ((نيل الأوطار)) باباً هذا عنوانه :[باب من أجاز في كلّ ركعة ثلاث ركوعات وأربعة وخمس] وذكر لكلّ صاحب مذهبٍ أدلة صحيحة من المرويات المسندة في مسلم وأحمد والنسائي وأبي داوود !!

ويكفي أن أذكر لك أخي القارئ الكريم أنّ صحيح الإمام مسلم قد أورد في هذه القـــضية من التناقض العجيب !!

أ- ركعتين (أربع ركوعات وأربع سجدات) وهذه رواية عن السيدة عائـــشة رضـــي الله تعالى عنها

ب- ركعتين (بثلاث ركوعات في كل ركعة وأربع سجدات) وهي أيضاً عن السيدة عائشة !!

ت- ركعتين (أربع ركوعات وأربع سجدات) وهذه الرواية عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه !!

ث- صلّى ست ركوعات وأربع سجدات عن جابر بن عبد الله

ج- صلّى ثمان ركعات في أربع سجدات عن ابن عباس رضي الله عنهما

الشمس لم تكسف في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا مرة واحدة ، وولـــده إبراهيم ــ عليه السلام ــ لم يمت إلا مرة واحدة !! وصلاة الكسوف لم تصلَّ إلّا مرةً واحـــدة !! فبالله من أين جاء الخلاف في هذه الروايات ؟ وكيف وقع التناقض بينهما والتعارض ؟!!

ثانياً ... زواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ميمونة وهو محرم !

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما :

'' تزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميمونة وهو محرم '' باب نكاح المحرم (**(5114**))

وقال ابن حجر العسقلاني صحّ مثله عن عائشة وأبي هريرة .

ولكن روى مسلم عن يزيد بن الأصم عن ميمونة '' أنّ النبي صلى الله عليه وآله وســـلم تزوجها وهو حلال '' (!!)

وعند أبي داوود عن ميمونة '' تزوّجني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن حلالان بسرف '' (!!)

فهذه حادثةٌ واحدة ، فليس ثمّة إلّا ميمونة ـــ رضي الله عنها ـــ واحدة من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد تزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرةً واحدة ! لكـــن وقـــع التضاد والتناقض في روايات الصحيح كما ترى .

ثالثاً ... فضائل أبي سفيان

روى مسلم في صحيحه (2501) من فضائل أبي سفيان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
'' كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه .
فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : يا نبي الله ثلاث أعطنيهنّ ؟
قال : نعم .
قال : عندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها (؟!!)
قال: نعم .
قال: ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك ؟
قال : نعم .
قال : وتؤمرني حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ؟
قال : نعم ''

وهذا معارضٌ لما علم واشتهر بأنّ السيدة أم حبيبة ـــ رضي الله تعالى عنها ـــ قد تزوجهـــا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهي بأرض الحبشة ، وأبوها كافرٌ لا يُسأل في مثل هـــذا الأمر فلا ولاية له عليها . ومعلوم كذلك كيف استقبلت أم حبيبة ـــ رضي الله تعالى عنـــها ـــ أباها حين جاء إلى المدينة ليجدّد العهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما نكثته قريش مع بني خزاعة حلفاء الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ، حيث رغبت به عن فراش زوجها سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنجاسته بحسب كفره وشركه .!!

وقد حكم ابن حزم ـــ رحمه الله تعالى ـــ على هذا الحديث في مسلم بأنّه موضوع لمخالفته الصحيح من الأخبار والروايات . ومعلوم أنّ أبا سفيان من مَسلَمة الفتح ، وأنّه وابنه معاوية كانا من المؤلّفة قلوبهم بالمال والمتاع !

رابعاً ... صلاة الجنازة على الشهداء والأطفال

ذكر الألباني في كتابه أحكام الجنائز أنّ الصلاة على الميت المسلم فرض كفاية ، ويستثنى من ذلك شخصان الطفل الذي لم يبلغ والشهيد .

واستشهد على ذلك بأنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يصلِّ على إبراهيم ولده وقد مات ابن ثمانية عشر شهراً . من رواية عائشة عند أبي داوود وصححه الألباني وابن حزم .

ثم عاد الألباني وقال : [وتشرع الصلاة على من يأتي .. وذكر الطفل ولو كان سقطاً ، وذكر حديثاً عن أبي داوود والنسائي وغيرهم وصححه وفيه " والطفل يصلّى عليه ويدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة " وفي رواية السقط بدل الطفل] الألباني / أحكام الجنائز ص**73**

فروايةٌ تمنع الصلاة على الطفل وأخرى تجيزها حتى السقط ، ومن هنا جاء تردّد الألباني ،
وأمّا الشهيد فقد قال الألباني : [والشهيد ـــ أي لا يصلّى عليه ـــ لأنّ النبي لم يصلّ على شهداء أحد] وذكر على ذلك ثلاثة أحاديث وهي :

عن جابر يحدث عن شهداء أحد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : '' لا تغسلوهم ، فإنّ كلّ جرحٍ يفوح مسكاً يوم القيامة ، ولم يصلّ عليهم '' وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص**55/54**

وذكر حديثاً عن أنس بن مالك ''أنّ شهداء أحد لم يغسلوا ودفنوا بدمائهم ولم يصلَّ عليهم غير حمزة '' حسّنه الألباني ص**55**

هذه الأحاديث استدل بها الألباني في أحكام الجنائز (80) على عدم الصلاة على الشهداء .ثم عاد الألباني نفسه وفي نفس الكتاب ليقول :الثاني الشهيد أي تشرع الصلاة عليه (81) واستدل على ذلك بأحاديث منها :

عن عبدالله بن الزبير

'' أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ يوم أحد بحمزة فسجّي ببردة ثم صلى عليه فكبّر تسع تكبيرات ، ثم أُتي بالقتلى يصفون ويصلى عليهم وعليه معهم ''

قال الألباني (82)اخرجه الطحاوي ، واسناده حسن رجاله كلهم ثقات .

ثم ذكر حديث بسند حسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه :

'' أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بحمزة وقد مُثّل به ، ولم يصلّ على أحدٍ من الشهداء غيره ''

وهنا يحق لنا أنّ نعجب كل العجب وأن ندهش كل الدهشه ، فأيّ تلك الروايات صـــحيح وأيها ضعيف ، وأيها يقبل وأيها يردّ روايةً تقول و تخبر أن النبي صلى على شهداء أحـــدٍ ، و أنّ الشهداء يصلّى عليهم ، وأنّه صلى على حمزة صلاة بتسع تكبيرات و صلى عليه مع كل شهيد ، واخرى تخبر أنّه لم يصلً على الشهداء البتة لم يصلّ على شهداء أحد .

كان يمكن لأحدهم أن يقول تلك حالات مختلفة ، وكل رواية تتحدث عن حالة من تلـــك الحالات ، ولكن الروايات كلها تتحدث عن غزوة أحد وشهداء أحد ، فهل في تاريخنا وســـيرة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم أكثر من أحد ! وأكثر من حمزة ـــ رضي الله عنه وأرضاه ـــ سيد الشهداء !! أم هي العقول التي أغفت حتى استمرأت ما هي في من الغفوة و الغفلة .

رابعها : أحاديثٌ تهزّ صورة النبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه

﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ((الأعراف : 157))

عَزَّرُوهُ أي : ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوّ سلاحاً أو فكراً بالطعن والدّس .

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾

وشهد الله تعالى لرسوله الكريم بالخلق العظيم : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

وإنما جاء صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق . والنبي الكريم في القرآن المجيد رفيع الذكر عظيم الخلق ، معصوم عن كلّ سوء ، ولكن كيف قدّمته لنا الروايات والأحاديث الصحيحة !! إليك طرفاً موجزاً من ذلك ...

أولاً .. أحاديث سحر النبي المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم

جاء في أحاديث كثيرة رواها الإمامان البخاري ومسلم ، ورواها أحمد وغيرهم ، عن السيدة عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت :''سُحر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم- رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم ، حتى كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يُخيّل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله ،حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندي ، لكنّه دعا ودعا ، ثم قال : يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه ، أتاني رجلان فقعد أحدهما

عند رأسي والآخر عند رجليَّ، فقال أحدهما لصاحبه :ما وجع الرجل ؟ فقال : مطبوب ، قال : من طبّه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، قال : في أيّ شيء ؟ قال : في مشط ومشاطة ، وجف طلع نخلة ذكر ، قال : وأين هو ؟ قال : في بئر ذروان ، فأتاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ناس من أصحابه ، فجاء فقال : يا عائشة كأن ماءها نقاعة الحناء ، أو كأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين ، قلت : يا رسول الله ، أفلا استخرجته ؟ فقال : قد عافاني الله ، فكرهت أن أثوِّر على الناس فيه شراً ، فأمر بها فدفنت '' .

وفي رواية للبخاري عن عائشة :'' كان رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - سُحِر ، حتى كان يُرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن - قال : سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا - ، وفي رواية قالت : مكث النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتي .... ''

هذا الحديث الصحيح سنداً جمع الشرّ كله ، فهو من جهة يهزّ من مكانة النبي المصطفى صلى الله عليه و آله وسلم إذ يظهره عياذاً بالله عياذاً بالله كالمجنون !!! يخيّل إليه أشياء لا حقيقة لها حتى يحسب أنّه فعل اشياءاً وهو لم يفعلها !!! وهو من جهة ثانية يفقد النبي صلى الله عليه وآله و سلم فضيلة العصمة من الله تعالى !! ﴿ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ﴾ ﴿ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾

وقد بلّغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأدّى الرسالة فحق على الله أن يعصمَه ويجيره ، وخير ما أجاره منه التسلّط على روحه وعقله وفكره ، وهذا يناقض مسألة السحر المزعومة!

ومن جهة ثالثة فإنّ هذا الحديثَ لو صحَّ ، وإنّه يقيناً لا يصحّ لصدق بذلك ظنّ الكافرين وطعنهم حين قالوا كما قال الله تعالى عنهم ﴿ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ ((الإسراء : 47))

وهو من جهة رابعة .. يفقدنا الثقة بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، إذ كيف سنثق بما جاءنا به هذا الرسول ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وهو مسحور يخيّل إليه أشياء

غير حقيقية ، فقد يخيّل إليه تشريع وهو ليس بتشريع ! وقد يحرّم أشـــياءاً وحقهـــا التحليـــل ، والعكس صحيح .

وقد يقول قائل : أنّ السحر قد أثّر في الأمور الدنيويـــة فقـــط لا في الدينيـــة أو التـــشريعية ؟

فنقول : وما الدليل !

فإن قال : عصمة الله لهذا الدين .

قلنا : وهذه العصمة وبها . أبطلنا هذا الحديث .

والسحر فعلٌ شيطانيٌ إبليسيٌ كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا كَفَرَ سُـــلَيْمَانُ وَلَكِـــنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ... ﴾ ((البقرة : 102)) فهل كان للشيطان ســـلطانٌ على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟ كلّا ، وحاشا لله ، واسمع قوله عز من قائل ﴿ قَـــالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِين*إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِين ﴾ ((الحجر : 39-40))

والنبي الكريم صلوات ربي وسلامه عليه كان سيد المؤمنين وإمام المخلصين وقدوة الطاهرين ، بأبي وأمي وولدي ونفسي يا سيدي يا رسول الله ـــ صلى الله عليك وسلم ـــ

بريء أنت والله .. نجيٌ أنت والله من هذه الطعونات وهذه الأكاذيب يا رسول الله .

ثانياً ... الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تثور شهوته لرؤية النساء !!! معاذ الله !

روى أحمدٌ وغيره عن أبي كبشة الأنماري قال :

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في أصحابه ، فدخل ثم خرج وقد اغتـــسل فقلنا : يا رسول الله قد كان شيء ؟ قال : أجل مرّت بي فلانة (!!) فوقع في قلبي شهوة النـــساء فأتيت بعض أزواجي فأصبتها فكذلك فافعلوا فإنّه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال " السلسلة الصحيحة !!! للألباني برقم ((235)) . ورواه مسلم في صحيحه ، كتاب النكاح ، باب نـــدب من رأى امرأةً فوقعت في نفسه ((177/9)) عن جابر " أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

رأى امرأة فأتى امرأته زينب وهي تمعس منيئة لها فقضى حاجته ثم خرج إلى أصحابه فقـــال إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله فـــإن ذلك يردّ ما في نفسه ''

قال الأستاذ أمين نايف ذياب ـــ رحمه الله تعالى ـــ في كتابه ((جدلٌ حول السلفية المعاصرة)) وهو يعلّق على هذا الحديث الذي صححه الألباني في سلسلته الصحيحه مـــا نـــصّه :[لم يـــدر بخلدي يوماً أن يُقْدِمَ مسلمٌ "يشهد عن لا إله إلا الله ويشهد أن محمداً عبده ورسوله" يُسلَّمُ على النبي في تشهده، ويصلي ويبارك عليه وعلى آله في صلاته الإبراهيمية، ثم يتجرّأ بعد ذلـــك أن يطعن في النبي ويهز صورته ، فيصحّح حديثاً يُحوِّلُ الرسول صلى الله عليه وســـلم إلى رجـــلٍ جنسي ، أقرب إلى تصرفات المراهقين ، يشتهي النساء بِمُجَرَّدِ مرورِ امرأة أمامه ، ولا يأســـره جلال الموقف ، أنّه النبي الصورة الأكمل للبشرية صلى الله عليه وسلم ، ولا يشغله عن ثـــورة الجنس أنه جالس في أصحابه ، فيتركهم وقد تحركت شهوته ، ليقضي ثورة الشهوة في إحـــدى نسائه!]

إنّ هذا الحديث الذي رواه مسلم ! وصححه الألباني ! بروايته الأولى ، وإن كان يحمل في طياته توجيهاً اجتماعياً أخلاقياً عالياً ، إلّا أنّ المخرج الذي خرج به يطعن ولا شـــك في جـــلال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم !! وفي بهاء صورته الساطعة وتحوله إلى رجل تجتاحـــه ثورة الجنس لمجرد مرور ـــ فلانة ـــ ويسميها لأصحابه ويعرض الراوي عن ذكر اسمها كأنه أكثر حشمةً من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم !!! . فلا يتمالك نفسه حتى يأتي زوجته وعنـــدها نساء فأخلينه فقضى حاجته !!!! . كما جاء في السلسلة الصحيحة !! ص**418** حديث رقـــم **235** كل ذلك وأصحابه يجالسونه ، فلا يمنعه انشغاله بأصحابه ولا هيبة الموقف من التـــصريح بمـــا اعتمل في صدره لدى مرور فلانة !!! ووالله ثم والله إنّ أحدنا ممن تلقى ودرج على بعض تعاليم مدرسة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الأخلاق والتربية ، وممن عاش في المجتمعات الشرقية المحافظة لا سيما العربية منها ، لا يقبل على نفسه أبداً أن يقع منه مثل هذا الذي نُسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يهز الصورة ويفقد الهيبة !!

ولقد كنت ولأكثر من مرة ، وخلال نقاشي مع بعض الذين يقدّسون مثل هذه المرويات ، كنت أعرض عليهم قبل قراءة الحديث عليه ، لو أنّ كبير عائلته أو شيخ عشيرته كان يجـالس الناس ثم مرّت به امرأةٌ ، فقال مثل ما جاء في هذه الرواية ، وفعل مثل ما أخبرت به !! هل يقبل منه مثل هذا التصرف ؟؟! وهل يبقى له من الهيبة ما يواجه به أبناء عشيرته ؟؟! فكان المنـاقش يبادر بالرفض والاستهجان ، فإذا ما أخبرته بحقيقة هذه الرواية المزعومة وقع في حـيص بـيص ولفّ ودار !! علّه يأتي بمخرج .. ولا مخرج !!

ثم لا بد لقارئ هذا النص أن يعرف أنّ فلانة هذه التي أثارت ثورة الجنس في صدر أطهـر رجل سار على قدم لمجرد مرورها أمامه ، أنّها كانت في مجتمع المدينة المنورة المحافظ الملتزم بالزي الإسلامي ، فلا تبرج ولا زينة ولا تمايل في مشيتها ، ومع ذلك فعلت فعلتها في نفسه !! فكيف سيكون حال ذلك المجتمع إذا كان مجرد هكذا حالٍ أشعل نار الرغبة لدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما هو الحال مع بقية الرعية !!!!

وننقل هنا أيضاً كلام الأستاذ أمين نايف ـــ رحمه الله تعالى ـــ في كتابه المذكور ردّاً على بعض التبريرات التي يتمسّك بها المتعصبون للحديث تحت عنوان :

[القرآن كافٍ وافٍ في منع الزنا] ما نصّه : [دعوى أنّه في محل التعليم والهداية ، لا تعني أنْ يظهر في سلوكه وتصرفاته، ما يَهُزُّ صورته ، على أن الآية الكريمـة ﴿ ولا تَقْرَبُواْ الزِنّا إنَّـهُ كانَ فَاحِشَةُ وَسَاءَ سَبِيلاً ﴾ ((الإسراء : 23)) الناهية عن مجرد القرب ووصفه بالفاحشة وإنه ساء سبيلاً كفاية في التعليم وإنَّ الشهوة تتوجه للحلال وهذا ظهور الشمس في رابعة السماء في قوله تعالى : ﴿ وإنَّ خفتُمْ ألاَ تُقْسطُواْ في اليتامى فأنكحوا ما طابَ لكم منَ النسَاء مثنى وثـلاثَ ورُباعَ فإنْ خِفْتُم إلا تعدْلوا فواحِدَةً أو ما مَلكَتْ أيمانُكُم ذلك أدنى ألا تَعُولُواْ ﴾ ((النساء : 3)) وقوله تعالى﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّـا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَـانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْـدَانٍ

فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ((النساء : 25)) .

إنّ آيات تحريم الزنا تحريماً ظاهراً قوةُ الردع فيها ، وآيات بيان النكاح ، محرمات النكاح ، واللاتي يجوز نكاحهن ، لا تتطلب مزيداً من التعليم، أما أن يكون هذا التعليم على حال يهز صورة الإجلال، والتعظيم، والتوقير، والاحترام، الذي يستحقه الرسول فإنّ الأمر لا يستسيغه إلا عقلُ من لا يحب الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يُكْبِرُهُ، بل أن بعض القائلين بجواز مثل هذا التصرف من الرسول ! وهو التفكير الجنسي، رفضوه عن أحبارهم ورموزهم !] انتهى كلامه رحمه الله تعالى

ثم إنّ المصدّق لهذا الحديث لا بد أنّه قرأ روايات أخرى كثيرة ، كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحادث فيها النساء ويعاملهن ويعظهن ، بل ويزورهن في بيوتهن !! ويقيل عندهنّ !!!! كما في حديث أم حرام بنت ملحان كما سيأتي إن شاء الله تعالى .

فإذا كان مرور إحداهن بين يديه مع أصحابه قد أثاره حتى لا يملك نفسه ، فماذا عساه يفعل وهو قائل في بيت أم سليم وأم حرام !!!!!! حتى أنّها تفلّيه ، وإليك الحديث ...

روى مسلمٌ بشرح النووي ــ كتاب الجهاد ــ فضل الغزو في البحر ((13/57))

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " كان يدخل على أم حرام بنت ملحان وكانت تحت عبادة بن الصامت فدخل عليها يوما فأطعمته ثم جلست تفلي رأسه فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك "

ثم جلست تفلي رأسه !!!!! اللهم إنّ رسولك الأعظم بريءٌ من هذا الافتراء

امرأةٌ أجنبيةٌ عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقيل عندها ، وتفلّي رأسه وهو الذي لطالما حذّر من الخلوة بالنساء !! وهو الذي قال ــ صلى الله عليه ــ "لا يخلونَّ رجلٌ بامرأةٍ،

إلاَّ كانَ ثالثهُما الشَّيطانُ" وهو الذي قال " إياكم والدخول على النساء " وهو ــ صــلى الله عليه وآله وسلم ــ الذي قالت عنه زوجته السيدة عائشة رضي الله عنها " ما مسّت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة قط "

فهل يرضى أحدنا هذا لنفسه ؟! ، أن يقيل في بيت امرأة لا تحلّ له ولا هي مــن المحرمــات عليه ، بل وتفلّي رأسه !! وهل يرضى أحدٌ فيه ذرّة مروءة هذا لأمه لأخته لزوجتــه ؟؟! حــتى نرضاه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ولكن ...

وقد قيل في دفع هذا الحديث أنّ أم ملحان بنت حرام هذه كانت إحدى خالات النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الرضاعة ، وقال آخرون كانت خالته لأبيه أو كانت خالته لجده عبــد المطلب . وقد بحثت في هذه المسألة فلم أجد أحداً ذكرها ، ولم يُذكر قط في أخبار أنس بن مالك رضي الله عنه وهو ابن أم سليم ، أخت أم ملحان هذه أنّه ابن خالة النبي صلى الله عليه وآلــه وسلم ، ولا ذكر مثل هذا ابن حجر العسقلاني ولا غيره في كتب التراجم ولا غيره حسب مــا أعلم ، ولو كان لاشتهر .

وثّمة حديث آخر صحيح رواه البخاري ومسلم ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كــان يقيل في بيت أم سليم بنت ملحان ، وما قيل في حق أم حرام يقال هنا . !!!

خامسها : أحاديث تخالف العقل

لقد ذكرنا في مطلع بحثنا هذا أنّ العقل هو من أهم حجج الله على عباده ، بل هو أوّلهــا جميعاً والممهد لها ، إذ كلّها تحتاج إليه لإثباتها ، ولا يحتاج هو إليها لإثباته ، وذلك أنّنــا نعــرف القرآن الكريم ونفهمه ونتدبره بالعقل ، ولولاه لما أمكن لنا فهم القرآن ولا غيره مــن أنــواع الخطاب ، وهذا معلوم لدى كل عاقل .

وقد ذكرنا أنّه إذا جاء نصٌ ظنّي الثبوت ظني الدلالة وكان في ظاهره يخالف العقل الصريح ، فالواجب علينا إمّا أنّ نتأوّله ليوافق ما عليه قطعي الأدلّة ، أو أن نرده إذا لم نتمكن من تأويله

، وكان هو ــ أي هذا النص ــ أصلاً من الأحاديث الظنية ، فالأصل تقديم القطعي على الظني ، ومن هذا الباب سأورد بعض الأمثلة على مخالفة بعض الأحاديـــث والروايـــات ومعارضـــتها لصريح العقول .

أولاً .... الله ــ تعالى عن ذلك ــ يغير صورته !!!!

كان يمكن لنا أنّ نذكر عشرات الأحاديث في هذا الباب باعتبارها تخالف العقـــل ، وذلـــك على اعتبار أنّ الأحاديث الظنية التي توهم التجسيم كلّها من هذا الباب ، ولكـــني آثـــرت أن أنقل أكثرها صراحةً وأشدها مناقضةً للعقل حسب ما أرى . والآن إلى المراد ...

روى البخاري عن طريق أبي هريرة وأبي سعيد الخدري ((7437ــ 7439)) ومسلم ((3/29)) وهو نفس الحديث الذي ذكرناه آنفاً ، وفيه " فيخرج قوماً لم يعملوا خيراً قط " أمّا هنا فنتعرض لقطعةٍ أخرى من الحديث تخالف العقل والكتاب مخالفةً واضحة وهي :

" وإنّا سمعنا مناديًا يُنادي : ليلحقْ كل قوم بما كانوا يعبدون ، وإنَّما ننتظر ربَّنا، قال : يأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة ، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول :هل بينكم وبينه آية تعرفونه، فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كلُّ مؤمن "

هذه الرواية بلفظ البخاري ، أمّا عند مسلم فهي بلفظ أنكى وأبشع !! وهي :

" حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يـــا ربنـــا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينـــه آيـــة فتعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد

أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فقـال أنا ربكم فيقولون أنت ربنا "

انظر أخي المسلم في ما جاء في هذا الحديث :

1. " أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها "

ما معنى هذا الكلام المتهافت ؟! ما معنى (أتاهم رب العالمين سـبحانه وتعـالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها) علماً بأنّ النووي في شرحه لصحيح مـسلم ، ومـع أنّ رأس مهمته هي شرح ألفاظ الأحاديث ، فإنّه مرّ عن هذه اللفظة المنكرة ـ أدنى صـورة ـ ولم يعلق عليها بشيء ، ولا تعرض لها أصلاً ، وانشغل بتفسير معنى ـ رأوه فيهـا ـ (3/27) وهل أدنى تعني أقل أم دون كما هي اللغة العربية ؟!!!!

2. " فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله "

3. " ثم يرفعون رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة "

فالله تبارك وتعالى ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ أصبح من منطوق هذا الحديث تدركه الأبصار ! وليس هذا فقط ، بل وتدرك تقلبـه وتحولـه وحلول التغيير والتبديل على ذاته الكريمة ـ عياذاً بالله تعالى ـ

هل يحتاج ربنا تعالى لهذا التحول وهذه المخادعة أصلاً !؟ علماً بأنّ الدار الآخرة دار جـزاء لا دار ابتلاء وعمل ؟

والعقل الصريح يحيل مثل هذا التحول في حقّ ذات الله جلّ جلاله ، لأنّ التحول والتغير من صفات الحوادث والأجسام ، والله تبارك وتعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ .

وحصول مثل هذا التحول والتغير على ذات الله ـ تعالى عن هذا الهراء ـ يعني أنّ ذاته سبحانه وتعالى أصبحت من مفعولاته وتحت قدرته !!! وهذا طعن في وحدانيته ، وأنّ ذاته سبحانه واجبة الوجود .

ومن المعلوم أنّ المسلمين جميعاً ، ومن باب التمدّح والتمجيد لذات الله العليّة ، يقولـــون في معرض تتريه الله تعالى ((سبحان من يغيّر ولا يتغيّر)) ، ولكن على ضوء هذا الحديث الصحيح عند البخاري ومسلم !!!!! فقد تزلزلت الثوابت ، ولحق التغير بالذات العليّة .! عياذاً بالله تعالى

ثم إنّه قد جاء في هذا الحديث '' فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أوَّل مرة '' ثم عاد فقال : '' وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة '' !!!!

أخي القارئ الكريم .. لو رجعت إلى نصّ الحديث الطويل في البخاري ومسلم ، لما أمكنك أن تعرف متى رأى المؤمنون ربهم أول مرة !! ومتى رأوا صورته في الحالة الأولى حتى استنكروها لّما تحولت وتبدلت !! وثم استقرت أنفسهم وسكنت حين عادت الصورة إلى حالتها الأولى بعـــد رحلة التغيير والتحول !! ــ عياذاً بالله العظيم الجليل ــ

ليس في نصّ الحديث إلّا ما ذكرته ونقلته من قبل ، فارجع وتأكّد ليطمئن قلبك ، وإنّا مـــا نقلنا ولا كتبنا إلّا ما اجترحته أيديهم ، وأقلامهم .!!

وشيءٌ آخر يلزمنا التعليق عليه في هذه العجالة ، وهي قوله :

4. '' هل بينكم وبينه آية تعرفونه ، فيقولون: الساق ، فيكشف عن ساقه ''

أيّ علامة هذه ؟ ومتى اتفقوا عليها ؟! وما الذي يضمن لهم أنّها لم تتحول كمـــا تحولـــت الصورة أصلاً ؟!! ولماذا الساق بالذات ؟ وهل يصحّ لله تعالى أن تكون له ساق ؟ بل هل يـــصحّ أن تكون له صورة أصلاً ؟!!!!

وهل معنى الساق في قوله تعالى ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ هو ما ذهب إليه هذا الحديث المختلق ؟؟ فإنّه حسب تفسير ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وهو من هو في تفسير القـــرآن حتى سمي بــ ترجمان القرآن أنّ تفسير الآية هو : ((يوم يكشف عن شدّة الهول يوم القيامـــة)) وحسب لغة العرب ، فإنّهم يقولون : [شالت الحرب عن ساقها] يعني حميت واشتد وطيسها .

وأين من هذا المعنى الموافق للغة العرب وأساليبهم ذلك المعنى الغريب العجيـــب المنـــاقض للعقول والتوحيد الذي يُلزمنا به حديث مسلم والبخاري ! مع العلـــم أنّ هـــاء الإضـــافة في ''ساقه'' لم تأت هكذا إلّا عند البخاري ، وهي عند مسلم وغيره بلا هاء الإضافة . ويا للعجب!

ثانياً .... الله سبحانه وتعالى يتردد في قضائه

روى البخاري في صحيحه من كتاب الرقاق ـــ باب التواضع حديثاً برقم ((6502)) مـــن رواية عطاء عن أبي هريرة رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : '' إنّ الله تعالى قال : من عادي لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرّب إلي عبدي بشيء أحـــب إلي مما افترضت عليه ، و لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنـــت سمعـــه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به ، و يده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها و لئن سألني لأعطينه ، و لئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفـــس المـــؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ''

هذا الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه ، وقد صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ((1640)) ينسب التردد لله تعالى بين طرفي قضية ، والتردد لا يكون إلّا ممن يجهل عواقـــب الأمور ، وهو دليلٌ على قلّة الحزم والحسم . وقد ردّ هذا الحدبث مجموعة من العلماء بـــسبب هذه اللفظة ، وبسبب ضعفٍ في سنده رغم وجوده في البخاري ، ومنهم الإمام الذهبي[1] الـــذي

-(1)- قال الذهبي : لولا هيبة الصحيح لعددته من المنكرات !!!!

فهل يشفع له هيبة الصحيح إذا كان منكر المتن شاذّ المعنى ! وما معنى هيبة الصحيح ؟ وأنّى لها هـــذه الشرعية التي تمنع العلماء من الصدع بقولة الحق ، أم أنّه التقليد والرضوخ لضغط المألوف وما عليـــه الآباء والعلماء ، ومتى نال الصحيح هذه الهيبة ؟ هل كانت حال تأليفه وتصنيفه من قبل البخـــاري ، وهل هي هبة من الله تعالى ؟!!! =

قال : [وهذا حديث غريب جدا ولولا هيبة الصحيح لعددته من منكرات خالد بـــن مخلـــد ، وذلك لغرابة لفظه] وقد أطالَ ابن حجر العسقلاني في ترميم هذا الحديث وشدّ أزره حتى أنّـــه استعان بثمان طرق أخرى ليصل إلى تصحيحه بالشواهد ، ولكنّها كلها ضعيفة ، وهي تزيـــده وهناً على وهن ، ورغم أنّ الألباني قد ضعّفها كلّها إلا أنّه صحّح الحديث بالشواهد لـــشاهدين آخرين ضعيفين كذلك !!!

ونحن وإن كان الحديث عن السند لا يغني في قضيتنا هنا ، لأنّ مدار الحديث هنا على مخالفة الحديث للعقل وهذا يكفي ، ولكنّنا ذكرنا ما ذكرناه لمزيد استئناس حتى تطمئنّ قلـــوب مـــن ينكرون علينا فعلنا هذا . وإلّا فالحديث ضعيفٌ ومنكرٌ لمخالفته ما علمناه عقلاً بأنّ الله ســـبحانه وتعالى عالمٌ لا يجهل وذاته العالمه . وإنّه سبحانه إذا قضى أمراً فإنّما يقول له كن فيكون ، وإنّـــه سبحانه وتعالى حكيم عليم ﴿ واللّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وهُوَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ وإلى الله عاقبة الأمور .

ثم إنّ الألباني قد ذكر كلاماً لابن تيمية حمل فيه على من ردّ هذا الحديث بسبب هذه اللفظة ، وبيّن أنّ التردد هنا بمعنى أنّه تردد لما في الفعلين من المصالح والمفاسد ، فيريد الفعل للمـــصلحة ويكرهه لما فيه من المفسدة ، لا لجهلٍ منه بالشيء وعواقبه . ومثّل على ذلك بالمريض يتردد بين أخذ الدواء للمصلحة ورفضه لكراهيته له . !!

= أم كانت تلك الهيبة بعد توالي السنوات وبعد استقرار الفكرة في رؤوس المقلّـــدين ، أنّ صـــحيح البخاري هو أصحُّ كتاب بعد كتاب الله ، وأنّه قد جاوز القنطرة ؟!! علماً بـــأنّ العلمـــاء في زمـــن البخاري نفسه وقريباً من عهده كانوا يتعاملون مع صحيحه كأيّ كتاب بعين النقـــد والدراســـة ، لا بحافظة التقليد والتسليم بحجة الهيبة .

علماً بأنّ مقولة : [إنّ الأمة تلقّت كتابي البخاري ومسلم بالقبول] عبارةٌ فضفاضة تجاوزت الحقيقة والواقع . كان الواجب في حق الذهبي رحمه الله تعالى وغفر له أن يحكم بنكارة هذا الحديث أو بنكارة تلك اللفظة الشاذة منه ، تعظيماً وإجلالاً لحرمات الله .

وهذا تعليل أو تخريج زاد المسألة تعقيداً !! فإنّ التردد بين المصلحة والكراهية تكون لمن لم يتحقق أحدهما ، أمّا من علم أنّ عبده لا ينال الخير العميم والجزاء الأوفى إلا بعد الموت ، فعلام يتردد ؟؟ ثم من كانت سنته وحكمته وقضاءه لا تتبدل ولا تتحول وسنة الله على عباده أن يقضى عليهم بالموت ، فكيف يكون التردد ؟؟ .. نترك الجواب لأولي الألباب ...

﴿ كلّ نفسٍ ذائقة الموت ﴾ ((آل عمران : **185**))

﴿ إنّك ميتٌ وإنّهم ميّتون ﴾ ((الزمر : **30**))

ثم إنّ المؤمنَ العابدَ المخلصَ يحب لقاء الله تعالى ولا يستاء منه أبداً ، والله تعالى يحب لقاءه .

ثمّ إنّ الحديث جاء بلفظ " ما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن " وذلك كأنّه يتردد في أشياء أخرى ، ولكن تردده هنا له خصوصية ما ، أو أنّه يختلف عن التردد في غيره ... هذا نص الحديث فتدبره ..

ثالثاً .... حديث حجّ آدم موسى عليهما السلام

وهذا الحديث مرّ معنا سابقاً ص **16/15** من مبحثنا هذا ، وإنّما ذكرناه هنا لأحيل على ذلك الموضع .. فلترجع إليه لزاماً ...

رابعاً .... حديث خلق الله آدم على صورته !!!

إنّ من أظلم الظلم أن يفعل الإنسان الباطل ، وأن يفتري الكذب والبهتان ثم يرمي به بريئاً خالي الطرف من تلك التهمة . قال عزّ من قائل : ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ ((النساء:**112**))

وهذا فعلاً ما حصل مع كثير من مقدسي النصوص الظنية ، ومن الذين أشادوا عمارة عقائدهم وأفكارهم على شفا جرفٍ هار ، واستقوا أصول أفكارهم من حيث يدرون أو لا يدرون . فإنّهم في مسائل كثيرة تبنّوها وجعلوها من أصول عقائدهم أو فرعوها ، ، بل وجعلوها

حكماً فصلاً بينهم وبين بقية الأمة ، كلّها مستقاة من كتب أهل الكتاب يهوداً ونصارى !! وهم في نفس الوقت يتهمون غيرهم من المسلمين بالوقوع في هذا الشَرَك وهذا المزلق الخطير . حتى صحّ فيهم قول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم : '' يبصر أحدكم القذى في عين أخيه وينسى الجذع في عينه '' وصحّ فيهم قول الأوائل : [رمتني بدائها وانسلّت]

وقد ذكرنا في مبحثنا هذا كيف تسرّب إلى المسلمين القول بالخروج من النار لأهل المعاصي ، وأثر اليهود في ذلك ، ومن ذلك حديثنا الذي بين أيدينا وهو ما جعلناه عنوان هذا الفصل : ((خلق الله آدم على صورته))

وقبل البدء نقول : إنّ هؤلاء أثبتوا لله الصورة ونافحوا عن ذلك كلّ المنافحة ، ومن أكثر من طريقٍ ليس فيها طريق واحد يبلغ منزلة القطع والجزم ، مع أنّ من حق مسائل الاعتقاد ألّا يُحكم بها إلا من طرقٍ جازمةٍ قاطعة . وألّا تخالف هذه الطرق القواطع من الأدلّة والجوازم من البراهين ، ومن هذه الشبهات التي اعتمدوا عليها ما رواه البخاري في صحيحه برقم ((7439/7437)) ومسلم ((3/29)) وقد سبق ذكره وفيه '' يأتيهم الجبار في غير صورته (وفيه أيضاً أنّه يتحول في صورته) ''

وروى البخاري أيضاً ((6227)) ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها بشرح النووي رحمهما الله تعالى ((17/178)) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : '' خلق الله عزّ وجلّ آدم على صورته '' وفي روايةٍ ثانية عن أبي هريرة أيضاً عند مسلم '' إذا قاتل أحدكم أخاه فليتّق الوجه فإنّ الله خلق آدم على صورته ''

وبناءاً على هذه الرواية بهذا اللفظ ، قال بعض المجسمة والمشبهة : أنّ لله ـ تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً ـ صورة ، وأنّ صورة ولد آدم على صورة الله عياذاً بالله تعالى من هذا التجسيم البشع !!

وقد حاول كثيرٌ من أهل العلم كابن حجر العسقلاني والنووي وابن خزيمة في كتاب التوحيد أن يؤولوا هاء الإضافة في قوله "على صورته" تعود على المضروب ، فيكون المعنى ـ فإنّ الله خلق آدم على صورة المضروب ـ وغيرهم حاول التأويل بوجوه أخرى ذكرها ابن الجوزي في كتابه ((دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه))

وقد لجأ بعض العلماء للطعن في الحديث من خلال سنده ، وذكروا فيه عللاً كفيلةً بإسقاطه ، خاصةً على ضوء ما في متنه من البطلان . إلا أنّ مجموعة من المنتسبين إلى الحنابلة أبوا إلا الإعتقاد بمقتضى هذا الحديث ، والقول بما فيه من التجسيم والتشبيه ، ضاربين بتأويلات العلماء عرض الحائط ، مستدلّين على ذلك برواية جاءت بعبارة تفيد التجسيم صراحةً وهي '' لا تقبّح الوجه ، فإنّ آدم خلق على صورة الرحمن '' سنن ابن أبي عاصم برقم ((517)) ص229

وهذه الرواية وإن ضعفها البعض ومنهم الألباني ، فقد استدلّ بها آخرون على صحة دعواهم !! حتى تجرّأ أحدهم على وضع كتاب تحت عنوان [عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن] لشيخٍ نجدي يدعى حمود التويجري من علماء بلده !!!

وقد قرّظ له الكتاب ووضع له تقريظاً مدحه فيه ومدح فيه ما وضعه في كتابه المذكور ، الشيخ ابن باز وقد قال فيه : [... فألفيته كتاباً قيماً كثير الفائدة ، ذكر فيه الأحاديث الصحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرحمن ، وفيما يتعلّق بمجيء الرحمن يوم القيامة على صورته ، وقد أجاد وأفاد وأوضح ما هو الحق في هذه المسألة وهو أنّ الضمير في الحديث الصحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عز وجل ، وهو موافق لما جاء في حديث ابن عمر أنّ الله خلق آدم على صورة الرحمن وقد صححه الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه والآجري وشيخ الإسلام ابن تيمية وآخرون ... وقد بين كثير من الأئمة خطأ الإمام ابن خزيمة رحمه الله في إنكار عود الضمير إلى الله سبحانه في حديث ابن عمر ، والصواب ما قاله الأئمة المذكورون وغيرهم في عود الضمير إلى الله عز وجل بلا كيف ولا تمثيل ...]

ومما يزيد العجب فوق العجب أنّ هذه المسألة ، وهي خلق آدم على صورة الله تعالى موجودة بالنص في توراة اليهود المحرفة التي بين أيدينا ، ولقد استدلّ صاحب كتاب عقيدة أهل الإيمان بما في التوراة على عقيدته ودينه !! ، وهذا نصّ التوراة : [وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا] [فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم] (التوراة / ص2 / سفر التكوين)

وهذا الحديث بالمعنى الذي ذهب إليه أولئك المجسمة ، ومنهم صاحب كتاب عقيدة أهـــل الإيمان ومقرّظ كتابه ، مخالفٌ تمام المخالفة ومناقض كلّ المناقضة لموجبات العقول وصـــريحها ، وذلك لأنّ الصورة في حقيقتها هي هيئة وتقاسيم وتآليف ، وهي لا محالة ذاهبةٌ في المكان طـــولاً وعرضاً ، حالها حال الأجسام كلّها ، وهي محتاجة لمصورٍ ومؤلفٍ !! ومحال عقلاً أن يكون الله ـــ حاشاه ـــ على هذا النمط . ومن قال أنّ لله صورة لا كالصور فقد ناقض نفسه ! فإنّه لا صورة في الواقع على غير ما ذكرنا . وقوله كمن قال جسمٌ لا كالأجسام فإنّ الجسم في حقيقتـــه ذاك الذاهب في الجهات .

وهذه الأحاديث والروايات معارضةٌ معارضةً صارخة للقرآن العزيز ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ وقوله جلّ جلاله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ﴿ لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيـــفُ الْخَبِيرُ ﴾

سادسها : أحاديثٌ تخالف المشاهد والمعلوم بالضرورة

أولاً .... سجود الشمس تحت العرش !!!

جاء في صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق ـــ برقم ((3199)) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وأرضاه . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر رضي الله عنه وأرضاه حين غربت الشمس : أتدري أين تذهب ؟ قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنّها تذهب حتى تسجد تحت العرش ، فتستأذن فيؤذن لها ، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها ، وتستأذن فلا يؤذن لها . فيقال : ارجعي من حيث جئت ، فتطلع من مغربها .

والحديث رواه مسلم بشرح الإمام النووي ((195/2)) وفيه طول ، نذكره بطوله لفائدة نبتغيها ، وقد صححه الألباني في مختصر مسلم ((2138)) وفي الجامع الصحيح (84) '' أتدرون أين تذهب الشمس ؟؟ قالوا : الله أعلم ورسوله ؟ قال : إنّ هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش , فتخرّ ساجدة , فلا تزال كذلك حتى يقال لها : إرتفعي , إرجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها , ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش , فتخر ساجدة , و لا تزال كذلك حتى يقال لها : إرتفعي , إرجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها , ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش فيقال لها إرتفعي , أصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها ''

يُفهم من هذا النص الصحيح بشهادة البخاري ومسلم والألباني أنّ الشمس حين تغيب عن أهل المدينة في زمن الصحابة تظلّ ساجدةً تحت العرش ، حتى يحين موعد شروقها في اليوم التالي فتستأذن فيؤذن لها ، وهي بالتالي تغيب عن فضاء الأرض ، وتختفي عن الكرة الأرضية فترةً الليل كلّه ، وهذا مخالفٌ تماماً لما علم بالضرورة عند كلّ ذي عقل ورؤية ، أنّ الشمس لا تغيب عن وجه الأرض أبداً ، وأنّ غروبها عن منطقة ما ، يعني شروقها على أخرى تليها ، بل إنّ الشمس بالنسبة للأرض في شروقٍ متواصل وغروب متواصل ، فهي تشرق في محل وتغرب في آخر ، ولذلك تعددت مشارقها ومغاربها .

فهذا الحديث يخالف ما علم ضرورةً من حال الشمس وجريانها في الفلك !! وظني أنّ واضع هذا الحديث لا يعرف كوعه من بوعه في علم الفلك والجغرافيا .

وفي الحديث مخالفةٌ أخرى لما أثبته العلم ، لا تقلّ عجباً عن سابقتها ، وهي أنّ الحديث يفيد بأنّ الشروق والغروب يكون نتيجةً لحركة الشمس حول الأرض ، وهذا ما كان منتشراً وشائعاً بين الناس قديماً حسب الرؤى اليونانية وفلاسفتها ، وقد أثبتت النظريات العلمية الحديثة أنّ دوران الأرض حول نفسها كلّ أربع وعشرين ساعة مرةً واحده هو ما يسبب تعاقب الليل

والنهار . ولا يمكن لنا بحالٍ من الأحوال أن ندفع معطيات العلوم والاكتشافات الثابتة بأحاديث لا ترقى إلى مستوى اليقين !، بل هي في أحسن أحوالها صحيحة ظناً !! .

وقد يلجأ البعض للتأويل ، بقوله : هذا سجودٌ مجازي ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ وهنا تظهر فائدة نقل نصّ مسلمٍ بتمامه الذي يؤكّد على أنّ الشمس تدخل تحت العرش فتخرّ ساجدةً ، فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي فتطلع مرةً ثانيةً في موعدها .

ثانياً .... كتابٌ فيه أهل الجنّة وأهل النار

روى الترمذي ((199/3 ــ 200)) وأحمد وابن أبي عاصم في السنة ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم ((848)) عن عبد الله بن عمر قال :

" خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي يده كتابان فقال : أتدرون ما هذان الكتابان ؟ فقلنا : لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا .

فقال للذي في يده : هذا كتابٌ من رب العالمين ، فيه أسماء أهل الجنّة وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . ثم قال للذي في شماله : هذا فيه أسماء أهل النار ، وأسماء آبائهم وقبائلهم ، ثم أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً . فقال أصحابه : ففيم العمل يا رسول الله إن كان قد فرغ منه ؟

فقال ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : سددوا وقاربوا فإنّ صاحب الجنّة يختم له بعمل اهل الجنّة وإن عمل أي عمل ، وإنّ صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل .

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : بيده فنبذها ثم قال : فرغ ربكم من العباد فريق في الجنّة وفريق في السعير "

كان من حق هذا الحديث أن يوضع تحت فصل الأحاديث التي تخالف العقل ، أو تحت الأحاديث التي تخالف القرآن الكريم ، أو تحت تلك التي تناقض العدل ! وها أنا أضيفه تحت بند

ما يخالف المعلوم بالضرورة والمشاهد ، فكلّ تلك المخالفات متوفرةٌ في هـــذا الـــنص المزعـــوم الصحيح سنداً !! .

فهل يعقل أن يُعلن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه عن وجود كتابين فيهما أسمـــاء أهل الجنّة بالتفصيل ، وأسماء أهل النار وبالتفصيل أيضاً !! ولا يزاد عليهما ، ثم بعـــد ذلـــك لا يحرص أحدٌ على رواية هذا الخبر سوى عبد الله ابن عمرو بن العاص !! رغم أنّ خـــبراً كهـــذا يستدعي أن يحرص وأن يسابق الجمع تلو الجمع على روايته وتناقله ؟!! . فهو من الأحاديث التي تتداعى الهمم على نقله وروايته ، حيث أنّه لم ينل هذا الاهتمام ، فهذا دليل على ضعفه وسقوطه ، وقد ذكرنا آنفاً عن ابن القيم :[أنّ من دلائل الوضع في الحديث أن يدعى على النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم أنّه فعل أمراً ظاهراً بمحضر من أصحابه كلهم ، وأنّهم اتفقوا على كتمانـــه ولم ينقلوه] . (المنار المنيف ـــ 57)

وراجع قول الإمام الخطيب البغدادي ص 6من هذا المبحث .

أمّا مخالفته للقرآن الكريم ، فإنّ القرآن رتّب الجنة والنار على ما يقدمه العبد من العمل ، لا على كتابٍ مفروغ منه !! وإنّ هذه الأحاديث الباطلة من شأنها أن تفـــسد وأن تبطـــل قـــضية التكليف من أصلها ، على اعتبار أنّ الجزاء يتقرر بكتابٍ مفروغٍ منـــه !! لا بالعمـــل الـــصالح والإيمان والقيام بالتكليف الشرعي !!!

ومن المعلوم ضرورةً بحيثُ لا يخفى على أحدٍ من المسلمين ، أنّ أحداً لا يعرف مـــصيره ولا مصير غيره ، حتى يتمَّ الحساب ويُعلم المحسن من المسيء يوم القيامة ، وهذا الحديث ينسف هذا المبدأ تماماً !!! ويقرر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحتفظ بكتابين بهما أسماء أهل النار وأهل الجنّة . وهذا الحديث بهذا المنطق يرسخ فكرةَ أنّ الإنسانَ مجبورٌ لا خيار له ، وأنّـــه كريـــشةٍ في مهبّ ريح ، وهذا ما دعت إليه الجبرية الأول من الجهمية والكلّابية . وهذا مخالفٌ تماماً لما يعلمه الإنسان من نفسه ، فإنّ أجلى شيءٍ هو ما يجده المرء في نفسه ، والإنسان يشهد علـــى نفـــسه بالقدرة على الخيار والمسؤولية عن العمل . والحديث بنصّه المخالف لما علم بالضرورة من واقع حال الناس يناقض هذا كلّه .

ثالثاً .... نزول رب العالمين في الثلث الأخير من الليل

روى البخاري في صحيحه ((1045)) في كتاب التهجد ، عن أبي هريرة قال : قال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ''يترل ربنا تبارك وتعالى كلّ ليلةٍ إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له'' ورواه مسلم كما في مختصر مسلم في الألباني برقم ((389)) '' يترل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كلّ ليلة حين يمضي ثلث الليل ، فيقول : أنا الملك .... فلا يزال كذلك حـتى يـضيء الفجر ''

الحديث عند البخاري يُعلمنا أنّ فترة الترول في الثلث الأخير ، بينما هي عند مسلم بعـد الثلث الأول !!.

وهو الترول سواءٌ كما عند البخاري أو عند مسلم ، وقد ذكر العـسقلاني الاخـتلاف في تحديد الوقت بحسب اختلاف الروايات لغاية ستة أوجه .

وليس هذا محلّ اهتمامنا ، ولكنّا نقول : كيف يترل الله كلّ ليلةٍ في ثلثٍ من الليل ، مع أنّ هذا الثلث ينتقل على مدار الكرة الأرضية ، فلا ينقطع . شأنه شأن غروب الشمس وشـروقها الذي تحدثنا عنه قبل صفحات ، وهذا يعني أنّ الله تعالى دائماً يظلّ نازلاً إلى السماء الدنيا ، لأنّ الثلث الأخير من الليل لا ينقطع عن وجه الأرض .

ما أبشع هذا القول !! خاصةً مع أولئك الذين يقولون بالترول الحقيقي لذات الله ـــ تعالى عمّا يقولون علواً كبيراً ـــ

وهذا الحديث في أحسن أحواله يُحمل على المعيّة بالتأييد والرعاية والإحسان والاستجابة ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِـكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ ((المجادلة : 7))

ومسألة دوام تواجد الثلث الأخير من الليل بلا انقطاع عن مدار الأرض ، مسألةٌ يعلمهـا كلّ عقلاء الأرض . فلا تُقبل رواية تخالف المعلوم بالضرورة لعجزها عن مقاومة قطعـي العلـم الضروري .

رابعاً .... الطائفة الظاهرة والفرقة المنصورة

روى البخاري ومسلم وغيرهما عن غير واحدٍ من الصحابة قوله صلى الله عليه وآله وسلّم '' لا تزال عصابةٌ من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم ، لا يضرّهم من خالفهم ، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك ''

وجاء بلفظ :

'' لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال ''

وجاءت في البخاري برواية معاوية :

'' لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس . فقام مالك بن يخامر .. فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعت معاذ بن جبل يقول : وهم بالشام . فقال معاوية ـــ ورفع صوته ـــ هذا مالكٌ يزعم أنّه سمع معاذاً يقول : وهم بالشام ''

وفي رواية ثانية ، قال : '' هم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس '' .

أولاً ... ـــ لا تزال ـــ تعني الدوام وعدم الزوال ، وذلك باستمرارها على مرّ العصور وكرّ الدهور ، وأكّد الحديث بقوله حتى تأتيهم الساعة ، فالحديث بذلك يقرّر دوام وجود هذه الطائفة ، ويؤكد وجودها وهي بحالة ظهور وغلبة . وهي قاهرة لعدوها بقتالها إياه حتى تأتيهم الساعة .

وهذا يعني وجوب وجود مثل هذه الطائفة الظاهرة من لدن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى قيام الساعة ، لا يضرّهم من خالفهم ولا من خذلهم ، وهذا ما نفتقده عبر التاريخ الإسلامي ، فقد مرّت فتراتٌ طويلة على المسلمين ، وهم يعيشون حالة تراجع وتقهقر وهزيمة .

وقد يعترض البعض بوجود حالات مقاومة بل وجود دول مقاومة وجهاد عـــبر التـــاريخ الإسلامي .؟!

فنقول : نعم يوجد .... ولكن هذا الوجود خرمته فترات طويلة لا يوجد مثل هذه المقاومة من طرف ، ومن طرف ثانٍ أنّ هذه المقاومات ، لم تكن بحالٍ من الأحوال قاهرةٌ لعـــدوها ولا ظاهرةٌ عليه . وقد ضرّها المخالف وخذلها الموالف !! .

ثم إنّ هذا الحديث عند البخاري قد جاء فيه عن معاذ أنّهم بالشام وفي رواية أخرى أنهم في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس ، ولا يمكن لعاقلٍ أن يخالفنا حين نقول أنّ الشام مرّت بفترات زمنية طويلة وما تزال ، وهي تحت غلبة الظلم واحتلال الكافرين وسيطرة القبوريين والصوفيين ، وأخيراً النصيريين والبعثيين .

ومن هنا نقول : هل انطبق هذا الحديث على واقع الحال في الشام ، وعلى التاريخ الإســـلامي السياسيّ لها . أقول : إنّ الشام وبعد أن انقرض عقد الأمويين فيها لم تعد تمثّل ثقلاً سياســـياً أو حاضنة سياسية للمسلمين عامةً ، فضلاً عن الطائفة المنصورة منهم .

ومن هنا نقول : لقد خالف هذا الحديث الواقع المعلوم من أحوال الشام ، وأحوال تلـــك الطائفة المذكورة في الحديث . وأظنّ أنّ الحديث كلّه إنما جاء لدعم موقف الأمويين في حـــربهم ضد الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ، ولطالما كانت هذه الأحـــداث ســـبباً في شيوع الأحاديث المفتراة نصرةً للمذاهب المتضادّة .

سابعها : أحاديث تناقض العدل وتنافح عن الجور

الحديث الأول ...

ذكرنا فيما سلف ص 42 حديث مسلم في كتاب التوبة :

" يجيء الناس يوم القيامة ، ناس من المسلمين ، بذنوب أمثال الجبال . فيغفرهـا الله لهـم ، ويضعها على اليهود والنصارى"

ومثل هذا الحديث يعتبر تكريسٌ عنصريٌ بشع للظلم ، وهذا يتنافى تماماً مع مبادئ الإسلام ونظامه الإنساني الرحيم العادل ، وموازين العدل والقسطاس المستقيم ، والعقل الصريح والقرآن الكريم يرفضون ويردون هذا الحديث ولا كرامة .

الحديث الثاني ....

أحاديث تكرس الظلم وتنافح عن الظالمين !!

لقد أرسل الله تعالى سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل معه الكتاب والبينات والميزان ليقوم الناس بالقسط والعدل.

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾

فالعدل كان الغاية العظمى لإنزال الكتاب وإرسال الرسل . وكذلك قام سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما أوجب الله عليه وأنشأ أعظم دولة في تاريخ البشرية كان العدل منهاجها وصراطها المستقيم . وعلى دربه وسيرته سار خلفاؤه الراشدون من بعده ، حتى وقعت الفتنة وانكسر بابها وهبّت سمومها تلفح وجوه الناس آنذاك . وانقشعت تلك الغيمة السوداء وقد

خلّفت في أرض المسلمين وبلادهم ظلامةً لم يذهب سوادها إلى يومنا هذا ، واستُبدل الذي هــو أدنى بالذي هو خير ، وقامت دولٌ كان الظلم دثارها والاستبداد شعارها ! ، وأكــل أمــوال المسلمين والاختصاص بها مسلكهم وسياستهم ، وجلد ظهورهم منهجهم وبديل رعايتهم !!.

وكان لابد لمثل هذه الحكومات الفاسدة المتنكِّبة عن طريق العدل والسداد ، كان لابد لها أن تجد لنفسها سنداً دينياً وذريعة شرعية تعتمد عليهما في دفع محــاولات المــصلحين والآمــرين بالمعروف والناهيين عن المنكر . ولم يكن أمام تلك الحكومات إلّا اللجوء إلى الروايات واختلاق الأحاديث التي تروج من خلالها للباطل الذي قامت عليه ، وتدفع عن نفسها حجج الناس الذين قاموا في وجهها يكشفون عوارها ويفضحون زيغها وظلمها وأكلها أموال الناس بالباطل . فمــا كان إلا أن استجاب زمرة من الرهبان ومشايخ المال ! ، وطلاب المناصب لهذا المطلب وأشاعوا لأجل ذلك كثيراً من الأحاديث والمرويات التي تكرّس الظلم وتنافح عن الظلمة والطواغيت ! ، وسرعان ما وجدت مثل هذه المرويات والأحاديث المختلقة طريقها إلى كتب أهل العلم ، عــن خطأ أو غفلة أو دسٍّ من غير علم صاحب الكتاب ، ولا ندّعي العصمة لأحــد ، ولا نــستبعد إدخال أمثال هذه المرويات عن علم وقصد .!

ولقد أدرك العلماء قديماً وحديثاً أنّ الفتنة وما نتج عنها من صــراع فكــري وعقائــدي وسياسي ، وحتى فقهي كان سبباً رئسياً في شيوع الأحاديث المختلقة بين الناس ، والتي دوِّنت في ما بعد في الكتب بأسانيد مختلقة منها ما كشف وبان عواره ، ومنها ما خفي أمــره أو تعاورتــه آراء المحدثين بين مصحح ومضعف .

ومن الذين أشاروا إلى أثر الخلاف السياسي أو أثر المصلحة السياسية في وضع الأحاديث ، الدكتور محمد عجاج الخطيب في كتابه (الأضواء على الإعلام في صدر الإسلام) حيث قال : [وقد كان للخلاف بين أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وأرضاه ومعاوية أثرٌ بعيدٌ في انقــسام الأمة ، ونشأة الأحزاب والفرق الدينية والسياسية المختلفه ، وقد حاول بعض أتباع كلّ حزبٍ أن يدعمَ ما يدّعي بالقرآن والسنة ، ومن البديهة ألّا يجد كلّ حزبٍ ما يؤيد دعواه في نــصوص الكتاب والسنة ، ولّما لم يجدوا فيهما غايتهم ، لجأ بعضهم إلى وضع الحديث والكــذب علــى

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فظهرت أحاديث في فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم مـــن رؤساء الأحزاب وأحاديث صريحة في دعم المذاهب السياسية] انتهى كلامه بتصرّف ص 87

ثم ذكر الأستاذ عجاج الخطيب أسباب الوضع ، وذكر منها :

1. الأحزاب السياسية .
2. الشيعة وخصومهم (السنة) في وضع الحديث .
3. التفرقة العنصرية والتعصّب للقبيلة والبلد والإمام .
4. الخلافات المذهبية والكلامية .
5. التقرّب من الحكام .

والآن إلى ذكر بعض الأمثلة من الأحاديث التي دافعت عن الجور ونظّرت له دفاعاً عن مصالح الحكام الفاسدين ...

1) عن عبادة بن الصامت ــ رضي الله عنه ــ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قـال : '' اسمع وأطع في عسرك ويسرك ، ومنشطك ومكرهك ، وأثرةٍ عليك وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك '' رواه ابن أبي عاصم في ((السنة)) وصححه الألباني (1026)

وعن حذيفة بن اليمان ــ رضي الله عنه ــ أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـال : '' يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ، ولا يستنون بسنتي ، وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس . قال : قلت : كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك ؟
قال : تسمع وتطيع ، وإن ضُرب ظهرك وأُخذ مالك (!!) فاسمع وأطع (!!) ''

ومثل هذه النصوص تكرّس استبداد الظلمة ، وكأنّي بولاة بني أمية وبني العبـاس حـين لم يملكوا منع أنفسهم من ظلم الناس ، وأكل أموالهم وجلد ظهورهم ، وهم في ذلـك لا يـأمنون ثورة الناس عليهم ، فكان لا بدّ لهم من إشاعة مثل هذه الأحاديث والنصوص التي تسقط همـم الناسِ وتخدّر شعورهم بالظلم ، وتحبط عندهم السعي للتغيير أو النكير على هؤلاء الظلمة .

وأعتقد أنّ أوّل الخارجين على هذه النصوص المخالفين لها هم الصحابة ، أو علـــى الأقـــل رعاياهم ، حين قال أحدهم لسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه : [لو رأينا فيـــك اعوجاجاً لقوّمناه بحدّ سيوفنا] فما كان جواب سيدنا عمر إلا أن قال : [الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوّم اعوجاج عمر بحدّ سيفه] ومن المخالفين لمثل هذه النصوص جمعٌ كبير مـــن الصحابة ، بل من كبارهم ، وعلى رأسهم السيدة عائشة وطلحة والزبير ــ رضي الله عنهم ــ وغيرهم . وكذلك من المخالفين معاوية ومن معه (!!) وذلك في خروجهم على أمـــير المـــؤمنين وإمام المسلمين واجب الطاعة لقضية لم تصل في وضوحها وجلاء أمرها ما تبلغه جريمـــة جلـــد الظهر وأكل المال . والحسين بن علي وزيد بن علي ومحمد النفس الزّكية وطلائع أهـــل بيـــت رسول الله الزكيّة في خروجها على الأمويين والعباسيين ، وخروج العباسيين على الأمويين .

علماً بأنّ مثل هذه النصوص تخالف أخرى جاء فيها '' لا طاعة لمن لا يطـــع الله '' الجـــامع الصحيح (7521) '' سيكون أمراء تعرفون وتنكرون ، فمن نابذهم نجا ، ومن اعتزلهم ســـلم ، ومن خالطهم هلك '' صحيح الجامع (1661)

ومن مثل هذه النصوص التي تخرج الحكام من دائرة البشر ، وتحوطهم بهالةٍ من التقـــديس المزعوم متأثرةً بفكر فارس والروم

'' السلطان ظلّ الله في الأرض فمن أكرمه أكرم الله ، ومن أهانه أهان الله '' رواه ابن أبي عاصم ((في سننته)) رقم (1024) وحسّنه الألباني

ولا أخالني أخرج عن صميم موضوعنا ، إذا قلت أنّ ثلاثة قضايا مهمة عمـــل ولاة الغلبـــة والاستبداد من بني أمية وغيرهم على إشاعتها ونشرها بين المسلمين ، وكان لها أثرٌ مهمٌ في تثبيت أركان حكوماتهم الفاسدة . وهي :

أ – نشر فكرةِ الجبر وأنّ الأمرَ أنف ، وأنّ الله يخلق أفعال العباد ، وأنّ ما يفعله العبـــد أو يذره من الأفعال والأقوال .. الخ ، كلّ ذلك قضاء الله المحتّم المكتوب عليه في الأزل ، وأرادوا

من ذلك إيهام المسلمين أنّ تولي هؤلاء الظلمة أمر المسلمين وسلطانهم هو قضاء الله وإرادته (!!) فلا سبيل لمناهضته ومقاومته .

ب- نشر فكرة الإرجاء ، والتي تقوم على إرجاء الحكم على المصرّين على معصية الله تعالى ، والتي بلغت عند بعضهم أن يقول : [أنّه كما لا تنفع طاعة مع كفر فإنّه لا تضرّ معصية مع إيمان] ثم جاء الإرجاء بحلّته الأخيرة فقال : [إنّه مهما فعل المسلم الذي ينطق بالشهادتين ، فإنّ أمره إلى الله تعالى ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، وأنّه في عاقبة الأمر وخاتمته إن عُذّب فسيخرج من النار ويدخل الجنّة معززاً مكرّماً ، وله عشر أمثال ما يتمنى بغير عملٍ عمله ولا خيرٍ قدّمه] .

وإنما سعت الحكومات المستبدة ومن والاها وشايعها من علماء السوء وعبدة السلاطين لنشر هذه الفكرة المتناقضة تمام التناقض والمخالفة مع القرآن الكريم ، لتخفيف غلواء المسلمين على حكام السوء ، جرّاء ما يرتكبونه من الموبقات والجرائم ، وأكل أموال الناس بالباطل ، والمكوس الجائرة وجلد ظهورهم وزجّ طلائع شبابهم في السجون كما فعل الأمويون والعباسيون بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ج - نشر فكرة السمع والطاعة وإن جُلدَ الظهر وأُكلَ المال . وذلك حرصاً على استتباب الأمن ، وذلك بخنوع الرعية وجنوحها نحو التسليم المذلّ ، رغم ما تعانيه من ذلّ أمثال هؤلاء الحكام الظلمة .

رغم أنّ العلاقة الصحيحة التي ينبغي أن تقوم بين أولي الأمر والرعية لم يكن القرآن العظيم غَفلاً عنها أبداً ، بل إنّه سبحانه قد أوضحها وأرسى معالمها حين قال ــ عز من قائل ــ
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾
((النساء:59))

فإمكانية وقوع الخلاف بين ولي الأمر والرعية وارد ، بل هو أمرٌ منطقي طبيعي بحكم بشرية الطرفين وعدم عصمتهم . والطريق الأمثل لحلّ هذا الخلاف العودُ إلى حكم الله وحكم رسوله ، لا مجرد التسليم بل الاستسلام المذلّ من قبل الرعية للحاكم الظالم .

هذه طائفة من الروايات التي ذكرها كأمثلة على ما ذكرناه من وجــود روايــات تخــالف القرآن والعقل والمشاهد المعلوم ، بل وتناقض بعضها بعضا وثمّة روايات تخالف أخرى لا مجــال لاستيعابها وذكرها في هذا المبحث . تحمل من الشذوذ والعلل وفيها من التضاد والتناقض مــع الأصول المحكمة مثل ما تحمل هذه المذكورة هنا آنفا أو أكثر .

منعنا من ذكرها حرصنا على عدم الإطالة .

وقد يسأل سائل كيف دخلت هذه الروايات على المسلمين وفي كتبهم رغم وجود الإسناد وعلم الإسناد وعلم المصطلح والجرح والتعديل ، ورغم اشتراط الاتصال والضبط وغيرها مــن وسائل الحيطة والكشف عن علل الإسناد ومواقع ضعفها ورغم جهود علماء الحديث الــضافية وتواصل أبحاثهم ودراساتهم بتواصل الدهور وتوالي القرون ، فما من عصرٍ إلا وفيه جموع مــن المحدثين والحفاظ ، فضلا عن توافر الجمع الحاشد من أهل الحديث والمختصين بعلومه وفنونه حتى عصرنا الذي نحن فيه .

وقبل محاولة وضع إجابة لهذه الأسئلة علينا جميعاً أن نقرّ بوجود مشكلة عويــصة مــسّت صميم ديننا بل قد لا أكون مبالغا إذا قلت أنّ هذه المشكلة كادت تعصف بالإســلام أو لهــذا خطط القائمون عليها والمفتعلون لها لولا عناية الله وحفظه . ومع فشل هذا المخطط الآثم إلا أنّه عكّر علينا نصاعة صفحة الإسلام وصفاء منهاجه ووضوح أدلّته ولا ينكرنّ أحد علينا قولنا هذا . فما قام مصطلح الحديث ولا علم الرجال والإسناد إلا محاولةً من السادة العلماء للخروج من هذه الورطة المشكلة .

ولكن .. هل حقاً تم لهم ما أرادوا ؟ وهل تحقق لهم مرادهم ؟ أم أنّ كثيراً من مجهوداهم ومحاولاهم ذهبت سداً ؟ بل إنّها في حالات كثيرة أصبحت الممهّد والطريق التي عبرهما تلك المدخولات على الفكر الإسلامي مما زاد الأمر ضغثا على إبالة !!

وإنّي لأسأله تبارك وتعالى أن يوفقني وييسر لي ولغيري من الغيورين على الإسلام المساهمة في إيجاد إجابة عن تلك الأسئلة ، وحلّ مشكلاهما وإعادة النظر في منهجية الإسناديين ، وذلك دفاعاً عن الإسلام ودفاعاً عن الله ورسوله والقرآن .

وأخيراً حسبنا الله ونعم الوكيل ومن يتوكل على الله فهو حسبه

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلّى الله وسلم على النبي الأمين .

وكتبه أبو يحيى زكريا أحمد يحيى

عمان / الأردن